باب الكتب الجديدة

مشكلة السلوك السيكوبانى ـ بحث فى علم النفس الطبى الاجتماعى :

تأليف الدكتور صبرى جرجس ، بكالوريوس في الطب وماجستير فى الآداب وطبيب بمستشفى الأمراض العقلية بالعباسية . منشورات جماعة علم النفس التكاملى الناشر : دار المعارف بمصر ١٩٤٦ — (٣٠٩ ص)

الانتباه الارادى ـ بحث فى علم النفس التجريبى :

تأليف الأستاذ أبو مدين الشافعي ، ماجستير فى الآداب . الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز مصر ١٩٤٦ — (١٩٢ ص)

إذا كان الأديب والشاعر والفنان يتوقون إلى طلب العزلة والانطواء على أنفسهم فى برجهم العاجى ليستنزلوا الوحى من عالم الكشف والغيب . . . فالعالم ، على العكس ، بحكم الموضوع الذى يدرسه وبحكم المنهج الذى يقتضى هذا الموضوع تطبيقه ، مضطر إلى أن ينضم إلى قافلة العلماء ، مقتفياً آثار الذين سبقوه فى مضمار البحث والتجريب، متآزراً مع رفاقه الذين يعملون جاهدين فى استجواب الطبيعة للكشف عن أسرارها . . .

والتأمل البسيط فى موضوعات هذين الكتابين كفيل بأن يبين لنا أننا بإزاء بحوث علمية خالصة ترمى إلى تجلية مسائل هامة فى علم النفس لاتزال بعض جوانبها غامضة معلقة. فلدينا من جهة بحث إكلينيكى قائم على دراسة حالات مرضية عرضت للدكتور صبرى جرجس فى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية ، ومن جهة أخرى بحث تجريبى يعتمد على التجارب التي أجراها الأستاذ أبو مدين الشافعى فى معمل علم النفس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . وكل من هذين البحثين يتناول موضوعاً خاصاً محدوداً لايمكن أن يعالج بواسطة قضايا عامة وتأملات ذاتية تثيرها فقرة قرئت هنا أو هناك ، وتبعها تجارب جزئية عرضية يذهب صاحبها فى تأويلها شتى المذاهب حسب مزاجه وجرياً وراء أغراض ذاتية يريد تحقيقها بأى شكل كان .

ومطالع هذين الكتابين لا يلبث طويلا حتى يقف على قدر المجهود الذى بذل فى استقصاء المراجع وتحليل الآراء ونقدها ومقابلتها بالنتائج التى أسفرت عنها الملاحظات والتجارب التى قام بها كل من المؤلفين للسير بموضوعهما خطوة إلى الأمام ، دون الادعاء بأنهما وجدا حلولا نهائيه حاسمة لجميع المشكلات صغيرها وكبيرها . فليس علم النفس

شبيهاً بالعلوم الرياضية التى لا تنتقل من مسألة إلى غيرها إلا بعد حل المسألة الأولى ، بل هو أشبه بكائن حي يتطور من الأنظمة البسيطة إلى الأنظمة المركبة مع ازدياد مطرد فى توضيح مقوماتها وتمايز وحداتها البنائية . ويمكن القول بكل اطمئنان إن قيمة البحث العلمى ليست فى حل المشكلات فحسب ، بل فى إثارة مشكلات جديدة وتوسيع آفاق البحث والتفكير .

***

يتناول الكتاب الأول وهو كتاب مشكلة السلوك السيكوباتى مشكلة عويصة من مشكلات الطب العقلى وعلم النفس المرضى[1] ، عويصة في تشخيص السيكوباتية وفي تعليلها من الوجهة السيكولوجية وأخيراً فى علاجها . ولا تزال هذه المشكلة مثار بحث وجدل بين المتخصصين ، يختلف بعضهم فى تسميتها وتشخيصها وغيرهم فى تفسيرها وتعليلها ولكنهم متفقون جميعاً فى أنهم بصدد مرض لا يجدى فيه العلاج ، ولهذا السبب رأى الدكتور صبري جرجس تركيز اهتمامه فى تشخيص السلوك السيكوباتى وتعليله والإلحاح على أهمية التوجيه والوقاية دون العلاج .

بدأ المؤلف نشاطه فى ميدان علم النفس وبما له صلة وثيقة بعلم النفس الاجتماعى منذ عام ١٩٣٤ عندما شرع في نشر الترجمة العربية لكتاب الدكتور أوجست فوريل في « المسألة الجنسية » وهو « بحث علمى نفسى صحى اجتماعى » والترجمة فى مجلدين كبيرين مجموع صفحاتهما ٥٣١ . وقد ظهر المجلد الثانى عام ١٩٣٦ . كما أنه نشر سنة ١٩٤٠ الترجمة العربية لكتاب مبادىء التحليل النفسى تأليف بوسفيلد .

وفى أثناء عمله فى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية استرعى انتباهه بعض المحولين على المستشفى لشذوذ سلوكهم الاجتماعى على الرغم مما يبدو عليهم من علامات السواء والاتزان فى بعض الأحيان ، مما يحمل بعض الأطباء على اعتبارهم من ضحايا سوء التربية وإخراجهم من نطاق المرض العقلى . وحتى فى الحالات الواضحة الشذوذ والانحراف قد يختلط الأمر على المشخّص إذ قد تظهر بعض سمات السلوك السيكوباتى فى حالات مرضية لا ينطبق عليها « القالب » السيكوباتى الأصيل . وقد درس الدكتور صبرى جرجس فى ١٤٠ صفحة من كتابه خمس عشرة حالة لمرضى يشتركون فى بعض السمات السيكوباتية ، وبعد دراسة مستفيضة استغرقت ثلاث سنوات فى تتبع سلوك هؤلاء المرضى وصل إلى تمييز أربع فئات : ١ ـ ثمانى حالات سيكوباتية أصيلة . ٢ ـ ثلاث حالات يغلب عليها

---

(١) راجع في باب التعريفات فى هذا العدد من المجلة الفرق بين الطب العقلى وعلم النفس المرضى

الطابع العصابى . ٣ ـ حالتان يغلب عليهما طابع ذهانى خاص (فصام ـ هوس) [١] . ٤ ـ حالتان تتميزان خاصة بضيق النطاق الذهنى وبالانحطاط العقلى وما يترتب عليهما من جهل وحماقة . أما « القالب » السيكوباتى الأصيل كما يظهر فى حالات الفئة الأولى فهو « القالب الذى يتميز بنشاط اندفاعى لا اجتماعى أو مضاد للمجتمع ، مستمر ومتكرر لكسب وهمى غير محسوس ؛ ليس فيهم من يقدر الجميل أو يكترث للعطف ، وليس فيهم من يعرف شعور التبعة إزاء الغير ؛ كلهم على تفاخر طفلى وتعاظم فج فى الذات أو غرور سطحى يضل بهم عن الاستبصار وصواب الحكم ؛ لا ينضجون من التجربة ولا يرتدعون من العقاب ولا يثبتون على هدف ولا يصلون إلى قدر ما من التكيف مع المجتمع ، ولا يعرفون الندم ولا يحسون العار ولا يختبرون شعور الخطيئة » . . . مما يجعل شعار السيكوباتى فى معاملته للآخرين « أن يأخذ كل ما يستطيع من أي إنسان يستطيع ، وبأية وسيلة يستطيع » . (ص١٤٧ و ١٤٨)

وإذا كان الدكتور صبرى جرجس ميز بين السيكوباتى والعصابى والفصامى والمهووس والضعيف العقلى — وذلك استناداً الى خبرته الواسعة ودراسته لمئات الحالات المرضية المختلفة — فهذا يعنى أن السيكوباتية لا تدخل فى نطاق العصاب كما أنها تختلف عن جميع أنواع الذهان المعروفة وحالات النقص العقلى ، وبما أنها ليست حالة سوية ، وبما أن المريض فاقد الاستبصار لا يدرك حالته ، فلا بد من أن تكون السيكوباتية ذهاناً خاصاً له من المشخصات ما يميزه تمام التميز من أنواع الذهان الأخرى . ويترتب على ذلك أنه لا يمكن بحال من الأحوال استخدام التحليل النفسي فى علاج هذا المرض لأن الشروط اللازمة لا لنجاح هذا العلاج بل لمجرد الشروع فيه غير متوفرة أصلا . وقد أشار المؤلف إلى هذا بإلحاح وتأكيد على الرغم من أنه من أوليات التحليل النفسي .

ويعتبر الفصل الثانى من هذا الكتاب فى المظاهر الإكلينيكية للسلوك السيكوباتى من ص ٢٧ إلى ١٦٧ نموذجاً لدراسة الحالات ينم عن سعة الاطلاع وفهم عميق لجميع نواحى الموضوع الدقيقة كما أنه يمثل لنا أرقى منهج فى النقد العلمى الصحيح للآراء والنظريات المختلفة.

ولا يقل الفصل الثالث فى تعليل السلوك السيكوباتي عن الفصل الثانى من حيث دقة العرض وترتيبه فضلا عن غزارة مادته . فقد تناول فيه من ص١٦٨ إلى ٢٤٨ تعليل السلوك السيكوباتى فعرض — وفقاً للمنهج التكاملى المتبع فى هذا الكتاب — لجميع العوامل التعليلية من بيولوجية وسيكولوجية واجتماعية . فكتب أبواباً وافية فى الوراثه والجبلة

(١) ورد في باب التعريفات فى هذا العدد ذكر أهم المصطلحات الخاصة بأمراض العصاب والذهان

(العوامل الفسيولوجيه المختلفة) وتكوين الاستجابات ومراحل الترقى الانفعالى الاجتماعى فى الطفل ثم السمات السيكوباتيه المميزة مشيراً فى كل ذلك إلى أحدث الآراء العلمية ثم معقباً عليها برأيه الخاص وبما يراه فى تعليل السيكوباتيه فى ضوء المنهج التكاملى . فاستعرض ما يصاب به من اضطراب كل من عوامل التكامل الثلاثة : الجهاز العصبى وهو عامل التكامل الفسيولوجى ، والذاكرة وهى عامل التكامل السيكولوجى ، واللغة وهى عامل التكامل الاجتماعى . والناحية الفسيولوجية لا تزال غامضة وقد أشار المؤلف إلى استخدام الرسم الكهربائى للمخ لتجلية هذه الناحية . أما فى الذاكرة واللغة فالاختلال عميق ولكنه لا يظهر لأول وهلة ، فالسيكوباتى لا يشكو من ضعف الذاكرة ولا من فقدان الذكريات ، كما أنه يستخدم اللغة استخداماً سليما ولكن الاختلال موجود فى لب وظيفتى التذكر واللغة وهو يتمثل :

أولا : فى عجز السيكوباتى عن الشعور بالديمومة وعن تمثيل الزمان كخبرة حية ، فكل ما لديه مجرد آليات وحالات نفسية سطحية متقطعة : « السيكوباتى لا يعرف من الزمن إلا الحاضر ، إنه لا يتمثل الماضى خبرة كانت ولا يسقط على المستقبل خبرة سوف تكون. إن الحاضر عنده هو اللحظة التى يعيش فيها وحسب ، مقطوع الصلة بما كان ، معدوم الارتباط بما سوف يكون . إنه اللحظة الراهنة لا يعرف سواها ولا يختبر غيرها ، وإنها بعد لخبرة سطحية ، وقتية فجة ، لا تمتد معه إلى حين ، ولا تنفذ فيه إلى غور ، ولا تدنيه اتصالا بعالم الحقيقة الموضوعيه » . (ص ٢٤٥ — ٢٤٦) .

ثانياً : عجز السيكوباتى عن تمثيل معنى الألفاظ تمثيلا حياً صادقاً ، وعجزه عن أن ينفعل لما يتفوه به من ألفاظ انفعالا عميقاً يربط بين الماضى والحاضر ، وفى هذا يقول المؤلف : « وليس مما يدخل فى نطاق السيكوباتى أن يعرف الصدق ، فهو يكذب دائماً ولكنه إذ يكذب لا يفعل لأنه يريد الكذب ويهدف إليه ، ولكن لأنه لا يستطيع أن يختبر معنى الحقيقة فى نفسه فضلا عن اختبارها فى الغير . . . ولا تجىء الحقيقة على لسانه إلا عرضاً واتفاقاً ، لأن اللغة عنده قلما تجاوز مجموعة الألفاظ التى يرددها دون أن ترتبط ، أو يرتبط هو بمدلولها » (ص ٢٤٧) .

وكما أن الدكتور صبرى جرجس يقدم لنا تعليله الخاص ، كما استخلصه فى ضوء المنهج التكاملى ، يقدم لنا أيضاً ما يقترحه من تعريف وتصنيف . ويأتى التعريف فى صفحة ٢٥٩ ، وفى كتاب علمى مثل كتاب الدكتور صبرى جرجس لا بد أن يأتى التعريف فى العلوم الطبيعية بعد الفراغ من البحث ومناقشة الموضوع . فعلم النفس علم استقرائى المنهج لا رياضى المنهج حيث تأتى التعريفات فى بدء العرض . ثم ليس هذا الكتاب كتاباً

مدرسياً ، بل يريد فيه المؤلف أن يعطى للقارئ صورة للخطوات التى اجتازها أثناء البحث مرتبة ترتيباً طبيعياً واقعياً . وكذلك قد يؤخذ على المؤلف ، فى أثناء عرضه للحالات ، عدم ترتيبها منذ البداية فى الفئات الأربع التى ذكرها فى آخر الفصل الثانى. ولكن المؤلف أراد أيضاً فى هذا المجال أن يعطينا صورة لما يحدث فعلا للباحث عندما يواجه الواقع فى تعقده واشتباك نواحيه ، قبل أن يصل إلى ترتيب الواقع وتصنيفه . وكذلك أيضاً لا يعيب الكتاب أن تذكر فيه آراء هذا العالم أو ذاك ما دام الغرض هو توضيح السبيل الذى سلكه الآخرون والعقبات التى اعترضتهم لتمهيد الطريق للرأى الجديد أو للتنظيم الجديد الذى يقترحه المؤلف . وقد سبق أن أشرنا إلى رأى المؤلف الخاص فى تعليل السيكوباتية فى الفصل الثالث . وقد قدم رأيه أيضاً فى التعريف وفى تصنيف الشخصيات السيكوباتية .

وقد سبق أن نشر الدكتور صبرى جرجس فى هذه المجلة ملخصاً بالإنجليزية لآرائه في مشكلة السلوك السيكوباتى (عدد فبراير ١٩٤٦ P.I. — 20) ولخصت مقالته فى عدد يوليو ١٩٤٦ من المجلة الأمريكية Psychological Abstracts ص ٢٥٣ ومما استرعى انتباه الملخص الأمريكي رأى الدكتور صبرى جرجس فى أن السيكوباتية مرض ذهانى Psychotic entity ثم رأيه فى تعليلها .

ولا يعتبر هذا الكتاب خدمة جليلة لعلم النفس التكاملى فحسب ، بل هو خدمة كبيرة يقدمها المؤلف للطب الشرعي والقانون الجنائى والصحة العقلية . ولا شك فى أن علماء القانون ورؤساء النيابة والمحامين والقضاء سيفيدون كثيراً من مطالعة هذا الكتاب فإنهم كثيراً ما يطلب منهم النظر فى حوادث ناتجة عن سلوك عدوانى نحو المجتمع والبت فى مدى مسئولية الجانى أو المعتدى ، فمن واجب المهنة أن يدرسوا الحالات المرضية التى يترتب عليها تخفيف المسئولية واتخاذ إجراءات وقاية لحماية المجتمع من اعتداء المنحرفين المختلين . والشخص السيكوباتى من أكثر الذهانيين خطراً لأنه مريض يلبس قناع الصحة.

* * *

والكتاب الثانى الذى نعرض له هنا وهو كتاب الانتباه الإرادى للأستاذ أبو مدين الشافعى لا يقل عن كتاب الدكتور صبرى جرجس من حيث القيمة العلمية ومن حيث مساهمته فى بناء صرح علم النفس التكاملى فى مصر . وكما أن دراسة الدكتور صبرى جرجس تعتبر الأولى فى ميدان علم النفس التكاملى الإكلينيكى ، كذلك يعتبر بحث الأستاذ أبو مدين الشافعى أول محاولة لدراسة تجريبية فى علم النفس التكاملى . ويقول

المؤلف فى مقدمة الكتاب : إنه اختار لدراسته وظيفة نفسية يتجلى فيها النشاط النفسى متكاملا ألا وهى وظيفة الانتباه الإرادى . وتطبيقاً للمنهج التكاملى نرى المؤلف يدرس هذه الوظيفة من جميع نواحى النشاط الإنسانى : البيولوجية والنفسية والاجتماعية(١).

ويتصل موضوع الانتباه بموضوع الإدراك فتعرض المؤلف لأبحاث مدرسة الجشطلط (الصيغة) وتجاربها فى الإدراك مناقشاً موقف علماء هذه المدرسة من العامل الذاتى ، إذ يضحون إلى حد كبير بهذا العامل ويقللون من أثره بالقياس إلى العامل الموضوعى المستمد من تركيب الشكل فى المجال المكانى . ويحاول الباحث أن ينقد نظرية الصيغ ليثبت أهمية العامل الذاتى فى الإدراك ، وهو يستند فى نقده إلى تجاربه الشخصية فى المعمل ، راجعاً إلى ظاهرة التحليل والتركيب فى إدراك الطفل . وعندما نتتبع بدقة العوامل النفسية فى مختلف حالات الإدراك نقف على نشاط نفسى مميز فى إدراك الصورة والحركة مما يؤدى إلى القول بـ « بروز سيكلوجى » .

تستسند وظيفة الإدراك إذن إلى نشاط نفسى عام ، وهذا النشاط هو أساس الانتباه الذى يدخل فى شتى العمليات النفسية ليقومها . فهناك ترابط متين بين جميع الحالات والوظائف النفسية ، وإذا كانت هناك درجات مختلفة من النشاط النفسى أو مستويات مختلفة له فليس هناك انفصال وتمييز فى النوع . ولا يحدث الانفصال والتفكك إلا فى حالات الشذوذ والمرض .

وبعد التحدث عن صلة الإدراك بالانتباه يفصل المؤلف القول فى صلة الانتباه بالنشاط النفسى العام فيدرس على التوالى الموضوعات الآتية : الانتظار ، الانفعال والانتباه ، الغرض والاهتمام ، الاختيار الإرادى وأخيراً الذكاء والانتباه .

وينتهي إلى إثبات وظيفة نفسية جامعة لكل الوظائف تربط بينها وهى الانتباه من حيث هو اتجاه attitude وبين بتجارب عدة صلة الاتجاه بعملية الاتزان وهى عملية يقوم بها الجسم ككل ، وقد ثبت تجريبياً أن للنشاط النفسى صلة وثيقة باتزان الجسم كله . ومن أهم ما جاء فى فصل الاتجاه والانتباه هو الاتجاه وتبأور الشعور ويظهر من هذا الفصل أن النشاط العام يخضع لعامل الانتباه ليظهر فى صورة شعورية و « استمرار النشاط فى اتجاه معين راجع إلى صلات أجزاء الجسم الداخلية وتكاملها » (ص ١٥٨) ويناقش المؤلف فى هذا الفصل الخطوط البيانية لتجارب التعب التى قام بها فى المعمل بواسطة جهاز الإرجوجراف أو مسجل العمل .

(١) نرجو الرجوع إلى كتابنا « شفاء النفس » وإلى المقالة التى نشرناها فى عدد فبراير ١٩٤٦ من هذه المجلة : المنهج التكاملى وتصنيف الوقائع النفسية (ص ٢٧٣ — ٣٠٤)

ويلخص الأستاذ أبو مدين الشافعى رسالته فى الفصل الأخير وعنوانه التكامل النفسى والانتباه الإرادى ، وبعد أن أشار إلى الأسس البيولوجية والسيكلوجية والاجتماعية للانتباه أبرز سمات الانتباه الإرادى فى قوله إنه اتجاه النشاط النفسى الجسمى المتكامل فى بيئة اجتماعية ملائمة .

وفى الكتاب ٣٣ رسماً لتجارب المؤلف كما أنه ذيل بفهرس للأعلام وبآخر للموضوعات فضلا عن فهرس للمراجع .

ى . م

علم النفس الفردى

أصوله وتطبيقه (منشورات جماعة علم النفس التكاملى)

للأستاذ اسحق رمزى — نشرته دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٤٦ — (٢٨٣ ص)

فى عام ١٩٤٢ تقدم الأستاذ إسحق رمزى لكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بحث أجيز بدرجة الماجستير في علم النفس بمرتبة الشرف الأولى ، تناول فيه علم النفس الفردى من حيث أصوله الفلسفية والطرائق المتبعة في تطبيقه ؛ ولما كانت فكرة اللاشعور هى من أهم العمد التى تقوم عليها مدارس التحليل النفسى ، فقد استهل الكاتب بحثه بالنظر فى الأصول الفلسفية لهذه الفكرة متتبعاً إياها منذ سقراط والرواقيين والأفلاطونية المحدثة فى العصر القديم حتى ليبنتس وهارتمان ومدارس التحليل فى العصر الحديث ، وأتبع ذلك بنظرة فى الآراء التجريبية التى وردت في هذا السبيل .

ولما كان أدلر قد بدأ حياته السيكولوجية تلميذاً لفرويد ، فالنظر المنطقى يقضى بأن نجعل من دراسة أفكاره الرئيسية مقدمة لأفكار أدلر لنرى إلى أى مدى تأثر التلميذ بآراء الأستاذ وفيم كان الخلاف الذى جعل منهما مدرستين .

على أن اعتراض أدلر يتلخص فى نقاط ثلاث : فقد أخذ على فرويد اعتباره الليبيدو المعين الأول والعلة العاملة فى توجيه السلوك كله ، كما أخذ عليه تعليله الجنسى للأمراض العصبية ، وقوله إن المرء يظل يقاسى ضغط الرغبات الطفولية فى نفسه وخاصة الرغبات المحرمة . ولإصلاح هذه العيوب رأى أدلر أن يقيم سيكولوجية جديدة تعتمد على عمد أربعة أولها دراسة قصور الفرد وما يتبعه من تعويض ، ثم الإيمان بأن الغائية هى التى تحكم قياد ذلك التعويض ، هذا كله الى ما للجماعة وما بالنفس من ميل فطرى إليها ، من أثر فى توجيه ذلك كله .

وقد استمد نظريته في القصور من الآراء التى تتعرض لعلل القصور العضوى وطرائق النشاط التى تنتج عنه ومظاهر الأعضاء القاصرة والتغير الحادث فى وظائفها ؛ إذ وجد نفسه أمام ارتباط عجيب بين قصور الأعضاء وبين « التعويض النفسى الزائد » . ومن الميسور أن نتأكد بملاحظة الأطفال أو بدراسة ذكريات الكبار من أن وجود الأعضاء القاصرة يؤثر دائماً فى حياة الشخص النفسية ، فقد يحقره فى نظر نفسه ويزيد شعوره بعدم الأمن ، أو يدفع به نحو الجهاد لإقرار الشخصية . على أن المؤلفين جميعاً متفقون فيما يتعلق بالاستعداد المرضى الذى يخلقه قصور الأعضاء ، ولكن الخلاف بين أدلر وبينهم ينحصر فى أنه موقن من قدرة المرء على استعادة التوازن فى شخصيته كى يصل إلى التعويض الكافى عن قصوره وربما إلى ما فوق التعويض . ويكون التفكير والإرادة لدى هؤلاء الأشخاص قائمين فى كل ظرف وفى كل آن على أساس شعورهم بالقصور .

ويلاحظ أن الشعور بالشخصية عند القصوريين من الأطفال يخضع عند ظهوره لنوع من الكبت لأن الفكرة التى يكونونها عن قيمتهم تكون فكرة متواضعة محدودة ، تبعاً لضآلة حاجاتهم وصغرها ، وهم كثيراً ما يتخذون فيما بعد حياة الوحدة والانفراد دون رفيق لهم أو صديق . وغالباً ما يواسى الواحد منهم نفسه بإلقائه تبعة ما يكابده على عاتق أهله الذين كانوا يكرهونه . وهو على الدوام شاخص إلى المستقبل لا يحفل بحياته الحاضرة ، ولا يجد فيها إلا ما يدفع به نحو الخيال و يبعده عن الواقع .

ومما هو جدير بالذكر أن هؤلاء الأشخاص يميلون إلى المقابلة دواماً بين الرجل والمرأة وينسبون القصور والضعف إلى الأنوثة ويحاول الواحد منهم أن يصل إلى الرجولة ويتخذ لذلك مظاهر يختلف بعضها عن بعض تبعاً لفكرته عنها ؛ وتتصل بذلك المقابلة بين الارتفاع والانخفاض ، فيضع الرجولة فى قمة المعايير التى يتخذها . ولعل العلة فى ذلك ترجع إلى موضع الرأس والقدم فى جسم الإنسان وأهمية كل منهما وكذلك إلى موضع الرجل بالنسبة للمرأة فى العملية الجنسية . ويرى أدلر أن الطفل فى العالم الحديث يكون من التذكير والتأنيث معنيين متناقضين يتصل كل منهما بالعالى والوطىء . ذلك أن الحضارة التي نعيش فيها تقوم فى أساسها على جهود الرجال الذين يسيطرون على كل شىء وتظهر سطوتهم على النساء فى كل مظاهر الحياة ، فإذا ما بدأ الطفل يميز العالى من الوطىء وإذا ما بدأت عيناه تنفتحان على أوضاع الجماعة التى يعيش فيها تبينت له مكانة الرجل فاتخذ من الرجولة رمزاً للقوة والسيادة والرفعة ، لهذا يتشوف كل طفل ، فتى كان أو فتاة « أن يكون رجلا بمعنى الكلمة » ، فليس

« الاسترجال » خاصاً بالرجال فحسب ، بل إن كل النساء يشعرن إلى حد ما بقصورهن عن الرجال ويحاولن الثورة على ما قسم عليهن .

غير أن هذه المنزلة الوضيعة للمرأة لا تمت إلى الحقائق البيولوجية بسبب « لأن سيطرة الرجل (في الجماعة) ليست وضعاً طبيعياً ، بل إن ما أنتج ذلك ، هو العراك العنيف الذى قام بين الجماعات البدائية وما أدى اليه من توكيل الكفاح إلى الرجال ، مما دفع إلى رفع مكانة الرجل ، وتمجيد شأنه تقديراً لقيامه بواجب الدفاع وشئون الحرب والكفاح ، فأسرف هو فى التعلق بتلك المكانة وسن من النظم والقوانين ما يحفظ السيادة لبنى جنسه ، وأعانه على ذلك استقرار الجماعات ، وتحوّل قوانين الملك ، وحقوق الوراثة فى الجماعات الزراعية لصالح الرجل خاصة » .

وقد عالج المؤلف موضوعه فى دقة وتفصيل ، ومع أن كتابات أدلر تشف عن كثير من البعثرة والفوضى فقد جهد أن يشيع فيها النظام ووفق فى ذلك إلى حد غير يسير ، فبعد أن قدم في الباب الاول سيكولوجية فرويد ، عرض فى الباب الثانى الأصول العامة لسيكولوجية أدلر ثم أتبعها فى الباب الثالث ببيان لأصولها الخاصة وأهمها اللاشعور والأحلام . وتناول فى الباب الرابع موقف علم النفس الفردى من مشكلة الأخلاق ، وحديثه فى معايير القيم وعملية التربية ثم العلاج النفسى ، وزاد على ذلك ملحقاً مفيداً عن العيادات السيكولوجية وأهم أعمالها ومناهجها ، ونموذجا لحالة قام أدلر نفسه بعلاجها

وقد شاد المؤلف فى مواضع عدة بآراء صاحب علم النفس الفردى ، وخاصة ما يدور منها حول فن تدبير شئون الأطفال النفسية ، ولكن ذلك لم يحل بينه وبين نقدها فى مواضع أخرى ، عملا بحكمة المعلم الأول : « إن إلحق أعز علىّ من أستاذى » .

م ١٠ . س

مبادئ التحليل النفسى وتطبيقاته

تأليف الأستاذ محمد فؤاد جلال ، الحائز على درجة الشرف فى علم النفس من جامعة لندن والأستاذ المساعد بمعهد التربية للمعلمين . (منشورات معهد التربية للمعلمين) المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٤٦ (١٦٦ ص)

سبق أن أصدر المؤلفون عدة كتب عربية فى التحليل النفسى وفقاً لنظرية فرويد ، غير أن معظم هذه الكتب كانت تنقصها دقة العرض ووضوح الأسلوب وترابط الموضوعات فضلا عن تشويه المصطلحات وخطأ استعمالها . فأراد الأستاذ فؤاد جلال سد هذا النقص

بنشر كتاب فى مبادىء التحليل النفسى وتطبيقاته يعرض فيه المبتدئين موضوعات هذا العلم مرتبة منسقة وبأسلوب واضح سلس بحيث يتمكن القارىء من فهم الأسس والقضايا الرئيسية فهماً واضحاً ومن الانتقال من فصل إلى فصل دون الشعور بأى فراغ في تتابع الموضوعات . وقد وفق المؤلف فى غرضه توفيقاً تاماً . فإن القارىء يلمس فى كل صفحة وفى كل فقرة يقرؤها عناية المؤلف بتوضيح المعنى دون الإطناب فى الشرح واهتمامه باختيار أدق المصطلحات والتمسك بها فى الكتاب كله ليحول دون وقوع القارىء فى اللبس والخلط ، هذا فضلا عن اعتماده على المراجع الأصلية لفرويد وتلامذته لكي يأتى عرضه أميناً صحيحاً . والواقع أن القارىء يمكنه أن يطمئن كل الاطمئنان إلى عرض الأستاذ جلال من حيث الدقة والأمانة .

ويشعر القارىء أن شخصية المؤلف كعالم لم تنفصل أبداً عن شخصيته كمدرس ، فهو يكتب كتابه كأنه تحت رقابة طلابه فى المعهد يستوضحونه كل فكرة يعرضها أو يطلبون منه شرح هذا المصطلح أو ذاك . وهو حريص على أن يضرب المثل الملائم كلما اقتضاه الأمر وأن يذكر اللفظ الإنجليزى لكل مصطلح علمى يأتى ذكره . ولا يسعنى بصدد هذا الموضوع الأخير إلا أن أشكر الأستاذ جلال على الخطوة الطيبة التى خطاها فى توحيد المصطلحات العربية فى علم النفس إذ استخدم المصطلحات الجديدة التى وضعناها لبعض الأمراض النفسية والعقلية ومن هذه المصطلحات : عصاب وذهان وفصام وحصار. غير أن هناك شيئاً من الإختلاف فى ترجمة بعض المصطلحات فقد آثر المؤلف ترجمة Projection بالتصاق بدلاً من إسقاط وترجمة Identification باندماج بدلا من تقمص وترجمة Intuition إلهام بدلا من حدس . وفات المؤلف فى ص ٥١ و ص ١٠٨ أن يضيف لفظ «وظيفى» إلى اضطراب عصبى لكى تكون العبارة معادلة فى معناها للفظ عصاب . ولدينا ملحوظة عابرة بخصوص التفرقة بين النفس والعقل . فقد أصاب المؤلف فى ذكر التفرقة التى كانت قائمة بين اللفظين فى الكتب العربية القديمة « فالنفس كانت أكثر ما تذكر عند ما يقصد إلى إبراز ناحية الانفعال أو الرغبة أو الشهوة . . . وأما العقل فيذكر عند ما يقصد الكاتب إلى المعرفة أو الذاكرة أو التكفير إلى غير ذلك من نواحى الفكر» (ص٤) ثم يلاحظ المؤلف أن هذين اللفظين أصبحا مترادفين في كتابات المحدثين باللغة العربية وأنه سيستعمل اللفظين فى هذا الكتاب بمعنى واحد (ص ٥) . إننا لا نتفق مع الأستاذ جلال على هذا الخلط ، بل نحن فى حاجة إلى لفظ عربى ثالث لكي يمكننا أن نترجم المصطلحات الأجنبية الآتية التي لا تزال تنطوى على فوارق هامة

والق لا يمكن الاستغناء عنها إذا أردنا التعمق فى دراسة طبيعة الإنسان وهذه المصطلحات هى : Psychic, mental, intellectual, rational فلا يمكننا أن نطلق على هذه الألفاظ الأربعة لفظ نفسى أو عقلى على السواء فلا بد من التفرقة بينها فى اللغة العربية كما هي الحال فى اللغات الأجنبية . وكنا قد اقترحنا فى محاضراتنا فى كلية الآداب عام ١٩٤٢ ما يلى : « يستحسن قصر الحياة العقلية Intellectual على العمليات الفكرية العليا كالتذكر والحكم والاستدلال. والحياة الذهنية Mental أعم من الحياة العقلية إذ أنها تشمل جميع العوامل الشعورية التى تؤثر فى توجيه السلوك . أما الحياة النفسية Psychic فهى أعم منهما إذ أنها تشمل جميع العوامل التى تكشف عنها الدراسة العلمية ومنها العوامل غير المشعور بها عادة » . أما Rational فلا بد من ترجمته أيضاً بعقلى مثل Intellectual ولكن فى الحالة الأولى نكون بصدد العقل Reason من حيث هو الملكة التى تصدر عنها الأحكام الكلية الضرورية المطلقة وفى الحاله الثانية بصدد العقل من حيث هو القدرة على تطبيق مبادئ العقل بمعنى Reason وفى هذه الحالة يقترب معنى Intellect من معنى intelligence ذكاء وحبذا لو استعملنا لفظ نطق كما كان يستعمله ابن سينا أى بمعنى reason ومن هنا جاء تعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق أى قادر على تعقل المعقولات المجردة . ومهما يكن من حال . فإننا نرى العودة إلى التفرقة القديمة كما ذكرها المؤلف فى ص ٤ وستجنبنا مراعاة هذه التفرقة الوقوع في اللبس . فمثلا فى ص ١٠٨ يتحدث المؤلف عما تمتاز به الحياة العقلية السليمة ، فهى الخالية من « التوتر ، والشد والجذب القويين ، وغير ذلك من مظاهر الصراع النفسى ، فإذا وجدت هذه المظاهر فإن النتيجة هى أن ينحرف العقل عن تأدية وظيفته انحرافاً بيناً ، ويقال فى هذه الحالة إن الشخص مصاب باضطراب عصبي [وظيفى] أو 'عصاب' ..» . لا شك أن انحراف العقل عن تأدية وظيفته انحرافاً بيناً يؤدى إلى اضطراب عقلى أو ذهان . أما انحراف النفس فإنه يؤدى إلى عصاب — هذا إذا راعينا التفرقة القديمة بين النفس والعقل . والواقع أن المؤلف يشعر بالحاجة إلى هذه التفرقة فيقول فى ص ٦٥ : « الاضطراب النفسى أو العصاب والاضطراب العقلى أو الذهان » ويقول فى ص ١٠٩ : « وتأتى بعد ذلك طائفة المصابين بأمراض «عقلية» (ذهانيين) ...» . وعند ما يتحدث المؤلف فى ص ٦٥ «عن الفرق الأساسى بين الاضطراب النفسى أو العصاب والاضطراب العقلى أو الجنون » يقول : « إن الشخص فى الأول عارف بحالته وساع فى إصلاحها بنفسه أو عن طريق العلاج ، وقادر على الحكم على تصرفاته ومعرفة الخطأ والصواب فيها — أما فى التالى فهو لا يرى

فى نفسه شذوذاً ، ويصبح فى حالة يفقد معها القدرة على الحكم على تصرفاته بالخطأ والصواب ، أى يفقد القدرة على نقد سلوكه فقداناً تاماً » . فمن هذا النص يتبين أن المؤلف يعود إلى التفرقة القديمة إذ يميز العقل بالمعرفة والحكم والنقد .

أما موضوعات الكتاب فهى موزعة فى سبعة عشر فصلا نذكر أهمها : منهج البحث فى التحليل النفسى ، اللاشعور والحيل اللاشعورية ، الصراع والكبت ، الغريزة الجنسية وتطور الحياة النفسية ، فترة الكمون والأحلام ، الانحراف فى وظائف العقل . ويختتم المؤلف كتابه بفصل شيق ممتع حقاً فى تطبيقاب التحليل النفسى فى الطب والتربية ورعاية الطفولة والتضامن الاجتماعى والفن والصحة العقلية .

* * *

إذا ألقينا نظرة على الكتب العربية التى ظهرت خلال هذا العام والتى ورد ذكرها على صفحات هذه المجلة وهى من تأليف الدكتور القوصى (عدد يونيو ١٩٤٦) والدكتور صبرى جرجس والأستاذ فؤاد جلال والأستاذ إسحق رمزى والأستاذ أبو مدين الشافعى (فى هذا العدد) حق لنا أن نقرر أن علم النفس فى مصر أخذ يخطو خطوات واسعة نحو الإنتاج العلمى والبحث الجدى وطبع تفكيرنا فى المسائل السيكولوجية بالطابع المصرى .

ى . م

اللاشعور الابداعى

Hanns Sachs : The Creative Unconscious, Studies in Psychoanalysis of Art. Sci-Art Publishers, Cambridge, Mass., 1942 Pp. 240.

يقول الدكتور هانز ساكس إن المادة التي تصنع الأحلام منها هى أصل كل إمكانية إبداعية ، سواء لدى الشعراء والأنبياء والفلاسفة والعلماء . وتلك هى اللاشعور ، فإنه هو مصدر الطاقة التي تتشكل وتستخدم ثم تستحضر من الأحلام وأحلام اليقظة والإبداع الفنى بما يلائم كلا منها . ومع أن الأحلام عامة تحمل بعض صفات الشعر ، والشعر يحمل بعض مظاهر الأحلام فإن لكل عالمه الخاص ، فحلم اليقظة متمركز حول الذات ، ليس له صورة محددة ، تختلط فيه الصور بالألفاظ ، وصاحبه يهدف إلى إشباع رغباته ؛ بينما الشعر ظاهرة اجتماعية ، تقيم للصورة وزناً كبيراً ، وترى الألفاظ مادة حياتها ، والشاعر لا يهدف إلى إشباع رغباته كما يفعل الحالم .

على أن ثمت نوعا من أحلام اليقظة ، يمتاز بأنه « ماسوخى » ، تسود فيه الانفعالات المؤلمة ، وهو يمنح صاحبه لذة الإشفاق على النفس . وبذلك يكون المضمون المؤلم ها هنا ستاراً يخفى وراءه لذة حقيقية تحصل نتيجة لإشباع رغبات لاشعورية . وإذاً فهذا النوع لا يشذ عن أحلام اليقظة من حيث المهمة التي يقوم بها ، فكلاهما مشبع لرغبات صاحبه غير أن الرغبات شعورية فى الحالة المعتادة ، وهى لاشعورية فى حالة هذا النوع الماسوخى .

ولما كان اللاشعور عنصراً هاماً فى الأعمال الفنية الخالدة فإنه إذاً عنصر مشترك بين هذا النوع من الأحلام وبين الفن . وعلى أساس هذا العامل المشترك يقوم نوع آخر من أحلام اليقظة هو « أحلام اليقظة المتبادلة » التي يساهم فى بنائها شخصان بدلا من شخص واحد فهو نوع ذو صبغة اجتماعية وبالتالى يكون الخطوة المتوسطة بين أحلام اليقظه المعتادة وبين الأعمال الفنيه . فإن صناعة الأحلام المتبادلة لا تتوفر دائما لأن شرطها الجوهري وجود الشريك الذى نستطيع أن نطلعه على أعماقنا. ولكن هذا الشريك يندر وجوده فكم من النفوس تقضي الحياة فى الوحدة ظامئة للتعبير عن أعمق رغباتها .

ها هنا طريق آخر ، يستطيع السير فيه أولئك الذين وهبوا القدرة على ذلك ، إذ يعانون ضغطاً هائلا من جراء الصراع بين الرغبة والشعور بالذنب ويستمتعون بذهن حساس . هؤلاء يمكنهم تحطيم عزلتهم دون حاجة للشريك ، فيندفعون فى إبداع قصائدهم التي هي بمثابة حلم يقظه اجتماعي ، يتيح لكل من ينصت إليه أن يشارك فيه وبذلك يجد بعض الخلاص من شعوره بالذنب ، ويلقى التشجيع على المضى فى حياة الأوهام ، التي تصبح لديه ولدى مستمعيه أهم من خصائص الوجود .

وتلك المشاركة من محتويات اللاشعور تفسر لنا كون التراجيديا هى أرقى صور الفن ، بينما تشبه الروايات ذات الخاتمة السعيدة ، عملية العادة السرية . على أن المشاركة لكى تتم على وجهها الصحيح يتحتم على الشاعر أن يخفى المحتويات فى قناع طيب متين لأن أحداً لا يقبل الاطلاع على خبايا اللاشعور سافرة . وربما كانت الصورة من أهم عناصر هذا القناع . والشاعر يعتمد هنا على الحدس لا على المقياس الجامد الدقيق .

وقبل أن ينتهى المؤلف من هذا الجزء من الكتاب ، يكتب فصلا بعنوان « الفن الشخصى واللاشخصى » يعرض فيه للفن الدينى الذى ساد فى أشعار العصور الوسطى وفى الموزايك البيزنطية ، وفى الزجاج الملون فى بعض الكنائس القوطية ، وهو فن لاشخصى ، يحرم على الفنان الذى يتعاطاه أن يقحم فيه أى إبداع شخصى ، ويقوم فى أساسه على محاولة استرضاء الأنا الأعلى الذي هو مسيطر كل السيطرة بحيث لا يتيح أية

فرصة لتمرد بعض محتويات اللاشعور وظهور الشعور بالذنب ؛ ولما كان للأنا الأعلى مثله البعيدة عن عالم الواقع ، فالفن الذى يجعله محوره يبدو غير مكترث بالعالم ، ولذلك نتيجتان ، أولاهما أنه لا يثير اهتمامنا ، والثانية أنه يشبه حلم اليقظة ، من حيث أن الأخير متمركز حول الأنا ، لا يعبأ بالعالم الواقعى .

تلك خلاصة الجزء الأول من الكتاب ، وقد قدم المؤلف فى الجزء الثانى دراسة لمسرحية شكسبير "Measure for Measure" ، على ضوء التحليل النفسى، ثم فصلا عن الفن فى عصر الآلة، وآخر عن موسى الإنسان وفرويد الإنسان ؛ وفى الجزء الثالث تكلم عن الجمال والحياة والموت . وبذلك يتم الكتاب الذى قضى صاحبه فى تأليفه خمسة وعشرين عاماً.

م . ا . س

مائة عام من الطب العقلى الأمريكى

نشر تحت إشراف الجمعية الأمريكية للطب العقلى (٦٤٩ ص)

One hundred years of American Psychiatry. Published for the American Psychiatric Association by Columbia University Press-New York 1944 Pp 649

بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس الجمعية الأمريكية للطب العقلى فى عام ١٨٤٤ قامت هذه الجمعية ، تعاونها الجمعية الأمريكية لتاريخ الطب بنشر هذا الكتاب لتاريخ حركة الطب العقلى والصحة العقلية فى أمريكا خلال مائة عام . ويشتمل الكتاب على تصدير ومقدمة وخمسة عشر فصلا قام بتحريرها ثلاثة عشر من العلماء تحت إشراف J.K.Hall أحد رؤساء الجمعية الأمريكية للطب العقلى و G. Zilboorg المتخصص في تاريخ علم النفس الطبى و H.A.Bunker من معهد نيويورك للتحليل النفسي. ويتناول الكتاب الموضوعات الآتية : بدء حركة الطب العقلى في الولايات المتحدة منذ أيام الاستعمار حتى تأسيس الجمعية الأمريكية للطب العقلى عام ١٨٤٤ ؛ حالة الطب العقلى في أوربا في منتصف القرن التاسع عشر ؛ تأسيس الجمعية الأمريكية للطب العقلى وتاريخ مستشفيات الأمراض العقلية في الولايات المتحدة ، البحوث التى نشرت في الطب العقلي خلال مائة عام ؛ تاريخ وسائل العلاج فى أثناء الحرب الأهلية (١٨٦١ — ١٨٦٥) والحرب العالمية الأولى (١٩١٧ — ١٩١٨) والحرب العالمية الثانية (١٩٤١ — ١٩٤٣) . وعدة بحوث أخرى عن التخصص فى علم الأمراض العقلية والطب العقلى الشرعى وتأثير الطب العقلى فى علم الأنتروبولوجيا فى الولايات المتحدة منذ مائة عام . ويجدر

بنا أن نشير بشيء من التفصيل إلى الفصل الذي كتبه توماس فرنر مور Thomas Verner Moore عن صلة علم النفس بعلم الأمراض العقلية في الولايات المتحدة منذ مائة عام . يلاحظ المؤلف أن فى القرن التاسع عشر لم يستفد واضعو كتب الأمراض العقلية من الدراسات السيكولوجية الجديدة وخاصة من دراسات التربية التى أجريت فى معمل فوندت وفى معامل تلامذته . وكان تأثير المدارس الجديدة مثل المدرسة السلوكيه ومدرسة الصيغ (جشطلط) ضعيفاً جداً . غير أن الطب العقلى فى الولايات المتحدة تأثر إلى حد غير قليل بآراء أدولف ماير Adolf Meyer الذى وجه انتباه تلامذته إلى ضرورة تركيز الاهتمام لا فى الأعراض المرضية بل فى الشخصية المريضة وفي جميع وظائف الشخص من حيث هو كل لا يتجزأ . كما أنه حاول أن يزيل التباين المطلق الذى قالت به الفلسفة الديكارتية بين النفس والجسم ، مقتربا من رأى أرسطو الذى كان يقول بوحدة الإنسان الجوهرية .

وهناك حركة أخرى أثرت إلى مدى بعيد في الطب العقلى وهى حركة التحليل النفسى . وقد اتخذت هذه الحركة فى الولايات المتحدة صورة جديدة فى الاتجاه السيكوسوماتى . فالطب السيكوسوماتي (أى النفسى الجسمى) يقلل من الفوارق القائمة في ذهن الأغلبية من الأطباء بين الأعراض النفسية والأعراض الجسمية ، محاولا الربط بينها بطريقة عملية بجعل العلاج لفئة كبيرة من الأمراض العضوية علاجاً نفسياً قبل أن يكون جسمياً .

غير أن الطب العقلى لا يزال يقاوم بعض الاتجاهات الجديدة فى علم النفس مثل تطبيق مختلف الاختبارات فى عيادات توجيه الطفولة . فكثيراً ما تكون الهيئة العاملة فى هذه العيادات مقصورة على الطبيب العقلى والعمال الاجتماعيين المكلفين بدراسة حالة الأسرة فى حين أن الطبيب يكتفى بتشخيص نوع الانحراف الذى يشكو منه الطفل دون الوقوف على مستواه العقلى ومستواه التعليمى بطريقة علمية منظمة كما تسمح به الاختبارات . ويرى مور Moore أنه من المحال أن يستغنى فى مراكز توجيه الطفل عن الأقيسة السيكولوجية والتعليمية كما أنه من المحال أن يستغنى مستشفى حديث عن معمل الباتولوجيا الإكلينيكية .

وبصدد موضوع صله علم الأمراض العقلية بعلم النفس نرى Bunker، في الفصل الذى عقده عن الطب العقلى من حيث هو مادة تخصص ، ينكر إمكان إقامة الطب العقلى الصحيح المجدى على أساس ضيق من التخصص ، بل يلح على ضرورة الجمع بين علم الأمراض العصبية وعلم النفس فى وقائعه السوية والمنحرفة وبين كثير من العلوم الاجتماعية . ويلخص Bunker رأيه بذكر ماقاله الطبيب الفرنسى Pinel (١٧٤٥ — ١٨٢٦) : إن الصعاب لتزداد أمام المرء عندما يشرع فى القيام بمهام مهنة طبية سيكولوجيه لأنه يصبح من الضرورى الإلمام بقدر كبير من المعلومات المتنوعه الإضافية . ى . م

ترقى الطفل — تأليف إليزابيث هرلوك ١٩٤٢ (٤٧٨ ص)

Child Development by Elisabeth Hurlock Mc Graw Hill comp. 1942

تستهل المؤلفة كتابها بعرض طريقتين لدراسة الطفل ، إحداهما مستعرضة تحلل فيها مرحلة بأكملها كمرحلة الطفولة المبكرة أو مرحلة العصابات أو المراهقة لاستخلاص صورة عامة متكاملة عن الطفل فى عمر معين . والأخرى طولية ينظر فيها إلى مظهر واحد من السلوك كالكلام أو اللعب أو الدافع الجنسى كأساس للبحث منذ فجر حياة الطفل حتى النضوج . وتختار المؤلفة الطريقة الثانية لأنها فى نظرها أسهل وأوضح خصوصاً وأن هناك من الفروق الفردية فى داخل كل مرحلة ما قد يشتت الباحث لو اتبع الطريقة الأولى . ولعل العنصر المستحدث فى هذا الكتاب هو امتداده بالبحث إلى مرحلة المراهقة المتأخرة فى بعض الأحوال خصوصاً فى اللعب والنمو الخلقى والجنسى إذ يتابع التحليل إلى ما فوق العشرين وهو ما قصر عن بلوغه الكثير من الكتب التى عالجت هذا الموضوع .

وتعرض المؤلفة فى الفصل الأول طرفا عن موقف المجتمع والتربية من الطفل منذ فجر التاريخ ، وكيف عملا على تكييفه حسب المستويات التى وضعتها القبيلة دون أن يخطر ببال أحد أن نموه يحمل طابعاً معيناً قد يحتم على البيئة أن تتكيف نحوه وتقابله من زاوية مخالفة لتلك التى تواجه بها طفلا آخر ... إلى أن جاء عصر النهضة فتغير الاتجاه وأضحى القوم يدرسون الطفل لتتمشى التربية فى هذه المرة حسب نموه وميوله . وهكذا تخلص الطفل من تلك الفكرة الجامدة البالية التى كانت تقيد حركاته منذ القديم وهى أن الطفل « رجل صغير » يطبق عليه فى ملابسه وطريقة تعلمه وترقيه الفكري والخلقى نفس ما يسرى على الكبير ولو بصورة بطيئة .

ولقد عرفنا عن طريق دراسة الترقى أن إدراك الطفل يتجه أولا للكليات وبعد ذلك للجزئيات فبدأنا نكيف برامجنا المدرسية حسب هذه الفكرة ، فراحت ضحيتها طريقة الحروف الهجائية فى تعلم القراءة واتجهنا للطريقة الكلية . وعرفنا أن الطفل يدرك المحسوس أكثر مما يهتم بالمجرد فامتلأت الكتب بالصور والنماذج وخرج التلاميذ إلى فناء المدرسة يمارسون طريقة المشروع و يتعلمون عن طريق الرحلات .

وهكذا جاء القرن السابع عشر فافتتحه جون لوك محبذاً الطرق الطبيعية فى تربية الطفل بدلا من إخضاعه لنظم قاسية كما كانت الحال . . وتبلورت هذه الصيحة فى سبيل ترك الطفل للطبيعة تعلمه وترقيه في كتاب « إميل » لجان جاك روسو . وفى أعقابه جاء بستالوتزى وهربارت وفروبل ولقد كان الأخير بحق مؤسس حركة رياض الأطفال .

وظل النصف الأول من القرن التاسع عشر مجدباً فقيراً حتى جاء تين بكتابه «نمو الرضيع» فكان بشيراً بنهضة مباركة تبعه إليها داروين « عرض لتاريخ حياة الطفل » ثم ولهلم پرير « عقل الطفل » ولقد قام بالدور الأول فى تنمية دراسة الطفل العلمية . وكان پرير طبيباً وقد أثبتت مقارناته لطفله بما كان يدرسه من الكتاكيت وصغار الأرانب أن هناك اتفاقاً بينها وبين الطفل الآدمى فى أسلوب النمو ، وخاصة فى اكتساب القدرة على الضبط العضلى .

وتستمر الكاتبة فى متابعة المراحل التى سار فيها البحث فى ترقي الطفل من دراسة تواريخ الحياة وأخصها ما قام به ستانلى هول والمؤتمرات التى تألفت للاهتمام بالطفل والمجلات التي صدرت تباعاً والجمعيات المختلفة التي تكلمت عن قيام العيادات السيكولوجية ودراسة ضعاف العقول .

وتنتقل المؤلفة بعد هذا إلى القرن العشرين « عصر الطفل » دون منازع . وتعرض لأربعة تيارات دراسية يختص التيار الأول بذلك التقدم الكبير فى طرق دراسة الطفل . وبدلا من دراسة طفل واحد انتشرت الدراسة على أطفال عديدين فى مجموعات . أما طريقة « تواريخ الحياة » القديمة فقد أضحت فقيرة إلى جانب الأبحاث التجريبية لواطسن . والثاني حول تخصيص الدراسة فى نوع معين من نمو الطفل كدراسة النمو الحركى أو الانفعالى أو الاجتماعى أو اللغوى إلخ . أما التيار الثالث فاتجه بالدراسة إلى الاختبارات التي بدأها بينيه وسيمون فوضعا مقياساً مقنناً للذكاء وتطبيق نتائج الاختبارات على التربية فيمكن مثلا وضع الطفل بين أقرانه حتى لا يشعر بالتراجع أو التأخر فيشب ولديه الشعور بالنقص والعجز والغيرة وقد راجع هذا المقياس وعدله جودارد وكولمان وترمان وبركس وغيرهم ، وقد تكلمت المؤلفة كثيراً عن مقاييس الذكاء وطرق استخدام نتائجها فى التربية . وأما الاتجاه الأخير لأبحاث القرن العشرين فيدور حول دراسة الطفل الشاذ عقلياً أو اجتماعياً . وقد بذلت فى سبيل هذه الدراسة عدة محاولات كان من أولاها محاولات تيم ١٩٢٨ عند ما أسس عيادة فى بوسطن للأطفال فى مرحلة ما قبل المدرسة .

والآن وقد اجتذبت المؤلفة نظر القارئ لأهمية دراسة النمو تبحث المؤلفة النمو الجسمى من أربعة أقسام : الأول يختص بالتغييرات فى الحجم كالزيادة في الطول والوزن والأعضاء الداخلية والثانى يختص بالتغييرات في نسب الأعضاء ، فالطفل يختلف كثيراً عن البالغ في نسب أعضاء جسمه وكان هذا هو أول مادفع الباحثين للقول بأنه ليس « مصغر

رجل » . والقسم الثالث يبحث فى ضمور الغدة التيموسية والصنوبرية وزوال بعض الأفعال المنعكسة كانقباض الأصابع ثم سقوط الأسنان الأولى ... وفى القسم الأخير تعرض لاكتساب سمات جديدة كالأسنان الثابتة والمميزات الجنسية التى تبدو في المراهقة .

وفي الفصل الثالث تنحو المؤلفة ناحية جسمية صرفة فتبحث تكون الجنين وهى مرحلة تبدأ بتلقيح البويضة الأنثية بواسطة الخلية الذكرية وتستمر ما يقرب من ٢٨٠ يوماً وتتعرض لسؤالين هامين اهتم بهما الجنس البشرى منذ فجر الخليقة وهما التنبؤ بالنسل وهولما يزل فى البطن والتحكم فى الجنين وهل يمكن أن نجعل منه ذكراً أو أنثى .. والمؤلفه فى هاتين المسألتين باحثة عميقة الغور فتشير في السؤال الأول لعدة طرق منها طريقة الأشعه وضربات القلب . إلخ . أما الثانى فتفسره بنظرية الكروموسومات أو الصبغيات التى تتزاوج ثم تنقسم ويحمل الذكر واحداً منها له الصفات الذكرية فإذا وصل قبل غيره للبويضة نتج مولود ذكر وإذا سبقه غيره له صفات أنثية كان المولود أنثى . أما أن يصل واحدقبل الآخر فهو من محض الصدفة .

تبدأ المؤلفة بعد هذا فى اتباع الطريقة المستعرضة فى الدراسة فتتناول النمو الجسمانى وتقسمه إلى نمو فى الطول والوزن ونسب الأعضاء والعظام والأسنان ثم الأجهزة الداخلية كالجهاز التنفسى والدورة الدموية والجهاز التناسلى ... وتتبع الترقى الحركى وتعطى معايير للأشهر التى فيها يضبط الطفل حركات اليدين فيضع الإبهام فى مقابل الأصابع الأخرى ... وحركات الجذع فيجلس ... وحركات الساقين فيقف ثم يمشى . ثم تعرض بعد ذلك للكلام عن عمليات تخص الطفل فى المنزل ويهم الأم أن تكون على بينة من أمرها ... كسن الأكل أو ارتداء الملابس .

ويتلو ذلك فصل عن النمو اللغوى وفيه تحدد المؤلفة ما المقصود بالكلام ثم تبحث دوافعه مشيرة إلى المنزل العطوف اللين الذى يسعى لإعطاء الطفل ما يريد قبل أن يطلب وكيف يقضى بهذا على الدافع للكلام ... وتشرح بعد هذا طريقة الكلام وكيف يبدأ بالمناغاة فيكرر الطفل مقطعاً معيناً مراراً عديدة دون أن يقصد سوى اللعب فتتكون بهذا عادة سمعية صوتية للمقطع فلا يكاد الطفل يسمع الكبير يقول كلمة معينة حتى يستثير ذلك الصورة السمعية للمقطع المقارب لهذه الكلمة فينطق بها . وبعد ذلك يرى الطفل الشيء الذى يتحدث عنه الكبير فيرتبط الشيء بالمقطع فإذا رآه بعد ذلك دون وجود الكبير كانت الرؤية كافية لاستثارة الكلمة . وهي طريقة تشبه الفعل المنعكس الشرطى.

ويخرج الكتاب بعد ذلك إلى شرح المحصول اللغوى وكيف يتكون .. فالمحصول العام يشمل الكلمات العامة الصالحة لكثير من المناسبات كأسماء الأشخاص والأشياء المتداولة والمحصول الخاص الذى يدور حول كلمات «الاتيكيت» وآداب السلوك ومحصول الألوان وهى هنا تستخدم مقياس بينيه وسيمون الذي عدله ترمان لإقامه معايير لعدد الألوان التي يجب أن يعرفها الطفل في كل عمر ثم محصول الأعداد والزمن والنقود الخ وأخيراً اللغة السرية التي يستخدمها الصبيان فى المدارس الابتدائية . وبعد هذا يعرض الكتاب لبعض الأخطاء فى الكلام كالتهتهة واللثغة وإدغام الكلمات إلخ. كما يعرض لتصيبنا نحن الكبار من الخطأ إذ لا ننبه الطفل إلى خطئه بل نستزيده لطرافته فيثبت لديه الخطأ .

يتلو ذلك فصل عن الترقى الانفعالى؛ فوصفت الانفعالات فى الطفولة من حيث حدتها وقصر أمدها وسرعة تذبذها . . وتستطرد المؤلفة من هذا إلي الإفاضة فى كل انفعال على حدة . . الخوف ومسبباته ومظاهره السلوكية وطريقة التغلب عليه . . الغضب . . الغيرة . . الفرح والسرور والحب . . وأخيراً التعجب .

وكذلك تتكلم المؤلفة بعد ذلك على النمو الاجتماعى وعلاقات الطفل بكل من الكبار والصغار وأنواع هذه العلاقات وترقيها بحسب المراحل وتغيرها فى مرحلتى العصابات والمراهقة حيث يكون الإيحاء الاجتماعى على أشده .. ثم تعقد المؤلفة بعد ذلك فصلا عن اللعب . ماهيته وفائدته الجسمية والتربوية . . . وتتعرض لوصف النمط الذى يسير فيه وأنواعه .

أما النمو الخلقى فتعرض فيه لرأى مكدوجال فى المراحل التي يسير فيها الفرد كاللذة والألم الصادرين من الإحساسات الجسدية ثم الثواب أو العقاب من السلطة المنزلية ثم المدح أو الذم من المجتمع وأخيراً مرحلة الغيرية حيث يعمل الفرد للمصلحة العامة دون ما اعتبار للمجتمع كله وهو ما يرقى إليه الأنبياء . ثم تعرض لرأى بياجيه وهو يضع للنمو الخلقى خمس مراحل ، وأخيراً رأى ديوى الذى يحدد ثلاث مراحل يسير فيها الفرد . ومن هذا تخرج للعقوبة وأنواعها وتنتهى إلي أن الأنواع المرتبطة مباشرة بالعمل هى أفضل الأنواع فالولد الذى يسرق شيئاً ، عليه أن يرد ثمنه من مصروفه الخاص، وذلك الذى ينثر الطعام على الأرض قصدا ، عليه أن يجمعه بنفسه وينظف مكانه وهكذا . وأخيراً يعرض الكتاب للنمو الجنسى فيبين كيف يمر الفرد باللذة الجنسية المرتبطة بالنفس أو الذات autoerotic practices حتي سن الثالثة إلي مرحلة الاهتمام بالرفاق دون نظر للجنس وتنتهى بالسادسة ثم من السادسة للثانية عشرة ينضم الصبي إلى رفاقه والبنت إلى زميلاتها ولا

يطيق كل جنس الجنس المخالف له وتأتى بعد ذلك مرحلة المراهقة فتتميز فيها عدة مراحل منها مرحلة الإعجاب بالبطل من نفس الجنس ثم بالجنس الآخر وأخيراً تأتى مرحلة العشق الحقيق في أواخر مرحلة المراهقة مصقولا متزناً يوافق عليه المجتمع . وفي نهاية هذا الفصل تعرض المؤلفة السلوك الجنسى الملتوى كالعادة السرية وعرض الأعضاء التناسلية exhibitionism والسادية sadism وتقديس التذكارات fetichism والمبالغة فى اشتهاق اللذة من الجنس الآخر .

ماهر كامل

ترقى الطفل وسلوكه — يشرف الأساتذة روجر باركر أستاذ علم النفس بجامعة ستانفورد والأستاذ جاكوب كونين أستاذ علم النفس بكلية إلنو Illinois والأستاذ هربرت ريت أستاذ علم النفس بكلية كارلتون (الطبعة الأولى ١٩٤٣ فى ٦٥٢ صفحة)

Child Behavior and Development. Edited by Roger Barker, Jacob S. Kounin & Herbert F. Wright (Mc Graw-Hill New York and London 1943)

يرمى هذا الكتاب إلى تقديم أبحاث ونتائج ومناهج للبحث لعدة دراسات مختارة فى علم الطفل . ولقد أعدت خصيصاً لتقتدى وتطبق من طلبة الجامعات المختصين فى علم النفس . ولكن لا تقتصر قيمة هذا الكتاب فقط على المختصين فإن مصنفى هذا الكتاب يؤكدون أن كل طالب علم مهما يكن مستواه العقلى والعلمى يستطيع أن يستفيد من تتبع المناهج الصحيحة للبحث كما يستفيد من نتائج البحث نفسه .

ولم يوقف المؤلفون اختيار مواضيع هذا الكتاب على أنفسهم بل لجأوا إلى عدد من المختصين المنصفين وأشركوهم كذلك فى اختيار المواضيع التى تنشر حتى يبعدوا بهذا الكتاب عن وجهات النظر الشخصية ويتجنبوا التجاوز عن بعض نقط هامة كما يتجنبوا زيادة التبسيط إلى درجة مخلة بالأسس العلمية أو الانحراف إلى ناحية خاصة من نواحى الدراسة .

وفى سبيل الاطمئنان إلى اختيار موضوعات هامة للكتاب طلب إلى ١١٠ من علماء النفس فى جمعية ترقى الطفل بأمريكا أن يعين كل منهم ست رؤوس مواضيع يرى أنها أهم المواضيع التى ينبغى أن يلم بها المختص فى علم نفس الطفل . ولقد تلقوا ٥٢ إجابة . ومن الطبيعى أن الكتاب لا يمكن أن يسع جميع المواضيع التى اختارها العلماء فشمل

الكتاب ٣٥ مقالة من هذه المقالات وهى المواضيع الأكثر تكراراً في تقدير هؤلاء العلماء . ويعتقد المصنفون لهذا الكتاب أنهم نجحوا فى أن يجمعوا بين دفتى مؤلف واحد كل ما ينبغى أن يتوفر للباحث فى علم نفس الطفل أو تربيته من الوقوف على المعلومات الأساسية اللازمة لهذه الدراسة وعلى عدد من وجهات النظر المختلفة وعلى مناهج البحث المتعددة فى هذه الدراسات . ولم يفت المصنفين أن يذكروا فى نهاية كل مقال أهم المراجع .

ومن بين المواضيع التى تناولها الكتاب دراسة الأفعال المنعكسة التى يقوم بها الجنين قبيل الولادة ؛ ولقد كتب هذا المقال الأستاذ Davenport Hooker متتبعاً فيه حركات الجنين والتغيرات التى تطرأ عليه من الأسبوع السابع حتى الأسبوع الخامس والعشرين بعد أن أجرى ملاحظات على ٦٥ سيدة ووصل من هذه الدراسة إلى أن الجنين يبدأ الاستجابة للمؤثرات الخارجية من الأسبوع الثامن حيث تكون الحاسة اللمسية قوية جداً خصوصاً فى منطقة الفم والأنف ولكن فى هذه الفترة لا يستجيب الجنين إلا لبعض المؤثرات الخاصة فقط .

ويرى مؤلف هذا البحث أن الجنين عند ما يكون عمره ٢٥ أسبوعاً تظهر فيه جميع الأفعال المنعكسة الموجودة عند الطفل بعد الولادة .

والمقال التالى كتبه Orvis C. Irwin عن نشاط الطفل فى العشرة أيام الأولى التى تعقب الولادة مباشرة . ويرى مؤلف هذا المقال أن كل الأبحاث السابقة كانت موقوفة على ملاحظة نتائج تغير المؤثرات الخارجية على الطفل (كالضوء والصوت والرائحة والطعم إلخ) ولكن أحداً من الملاحظين لم يحاول أن يبحث طبيعة استجابة الطفل نفسه وقدرة استجابته لهذه المؤثرات عند ما تكون ثابتة . تكون الملاحظة مستمرة طول الليل والنهار فى خلال العشرة أيام الأولى من حياة الطفل . ولقد أورد الكاتب قوائم معينة لحركات يأتى بها الطفل كما طالب الملاحظين بأن يذكروا النسب المئوية لعدد ذبذبات الطفل وتكرار كل حركة من هذه الحركات وذكر نتائج هذه الأبحاث مع إيضاح ذلك برسوم بيانية .

ولقد كتبت Nancy Bayley مقالا عن ترقى الطفل العقلى فى الثلاث سنوات الأولى وقد قدمت هذا البحث ببيان أهمية دراسة الترقى العقلى فى الفترة الأولى من حياة الطفل من حيث إضاءة الطريق لدراسة نشأة الذكاء إذ يكون السلوك العقلى للطفل فى هذه السن أقل تعقيداً منه فى سن المدرسة أو فى سن البلوغ . ولقد تتبعت المؤلفة فى

هذه الدراسة ملاحظة ١٨٥ ظاهرة يقوم بها الطفل فى هذه المرحلة ووصلت إلى نتائج إحصائية عنها . وبفضل هذه الملاحظات استطاعت أن تصل إلى معايير ثابتة للترقى العقلى فى المرحلة الأولى من حياة الطفل .

ولقد ورد فى الكتاب عدة مقالات أخرى عن التطور اللغوى عند الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة وعن تطور إدراك الطفل للعلاقات العلمية وعن الترقى العقلى للطفل فى المراحل الأخرى وعن أثر الذهاب إلى المدرسة فى هذا الترقى العقلى وعن دراسة ترقى الشخصية ودراسة مخاوف الأطفال . . . كما ورد بالكتاب مقالات عن الترقى الاجتماعى للطفل وعن أثر الموانع فى قوة التحريك عند الطفل وعند سلوك الأطفال فى حالة الفشل إلخ إلخ .

ولعل من أهم الأبحاث الحديثة التى قدمها المصنفون فى هذا الكتاب بحث قيم للعلامه Lewis M. Terman عن الخصائص العقلية والفيزيقية لدى الموهوبين من الأطفال وقد ضمن فى هذا المقال خلاصة أبحاث أجريت على ألف طفل من الموهوبين وأورد فى هذا المقال الصغير نتائج أبحاثه من سنة ١٩٠٢ إلى سنة ١٩٤٣ شارحاً العقبات التى اعترضت دراسة الموهوبين سواء من المدارس أو الآباء أو المجتمع ذاته وكيف تغلب على هذه العقبات .

ومن الأبحاث الحديثة دراسة ظاهرة « الزعامة » عند الأطفال . . ولقد خصص لهذا البحث أربعة أبواب مختلفة لعلماء مختلفين . . المقال الأول هو « السيطرة والسلوك الاجتماعى التكاملى » بقلم Harold Apnderson والمقال الثانى عنوانه « جماعات الأطفال » بقلم اثنين من علماء النفس هما R. Lippit, و R White والمقال الثالث بعنوان « السلوك الاجتماعى » عند الأطفال فى مرحلة ما قبل المدرسة تأليف Miss Parten Newhall, والمقال الرابع « عن تقدير المراهقين لشخصية زملائهم » بقلم Mc Cann Tryon

ويضم الكتاب عدة أبحاث أخرى لا تقل عما ذكرناه من أبحاث سواء فى القيمة العلمية أو أهمية النتائج أو دقة البحث أو صحة المنهج ونحن ننصح كل مختص فى علم النفس أن تحوى مكتبته هذا الكتاب القيم الذى يعتبر مرجعاً لأحدث الأبحاث

ليلى يوسف

علم النفس الاجتماعى تأليف لابير وفارنزورث الأستاذين بجامعة ستانفورد (صدر الكتاب في مايو سنة ١٩٤٢ فى ٥١١ صفحة) الطبعة الثانية

Social Psychology by Lapiere and Farnsworth 1942 (Mc Graw-Hill Book Company, Inc) New York and London.

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٣٦ إلا أنه حدثت تغيرات كبيرة فى الكتاب بحيث أضيف إليه الشيء الكثير عن الطبعة الأولى ويقرر المؤلفان إن الغرض من الكتاب الأول كان إيجاد علاقة بين علم النفس وعلم الاجتماع ولكن ارتقى علم النفس الاجتماعى حتى أصبح الآن علماً مستقلا عن هذا وذاك وأصبح من الممكن تحديد مجال أو موضوع معين لدراساته «فقد اجتاز علم النفس الاجتماعى دور البلوغ ووصل إلى درجة النضوج». وهكذا اضطر المؤلفان إلى إدخال تعديلات فى الطبعة الأولى بحيث يوضع الكتاب فى صورة جديدة تتفق مع التكوين الحديث للعلم .

ويدور الباب الأول على مجال البحث فى علم النفس الاجتماعى فألقى المؤلفان أولا لمحة عاجلة على تاريخ هذا العلم منذ الفلسفة اليونانيه الأولى ثم شرحا نظريات أفلاطون وأرسطو وتعرضا لمذهب اللذة ونظريات العصور الوسطى ونظرية مكيافيللي والفلسفة الوضعية والتجريبية ومدرسة التقليديين ونظرية الغريزة ونظرية القدريين إلى آخر ذلك من النظريات المختلفة حتى وصلا إلى وجهة النظر الحديثة التى قامت على البحث فى التداخل بين الأفراد والجماعات والتفاعل بينهم.

وبحث المؤلفان كذلك الأسس السيكولوجية للسلوك الإنسانى وخلصا من هذا البحث إلى أن الإنسان حيوان وكائن اجتماعى فى نفس الوقت فمن حيث هو حيوان تجده يعمل دائماً على إشباع حاجاته البيولوجية وأما من حيث هو كائن إنسانى فهو يشبع الحاجات الأولى ولكن بصور معدلة كنتيجة للعوامل الاجتماعية المؤثرة فالقوى الإنسانية المختلفة تحددها الطبيعة وتحددها كذلك الظروف البيئية المحيطة بحياة الفرد وعلى الأخص في المدة الأولى من الحياة .

وكذلك تنشأ دوافع السلوك الإنسانى كنتيجة لحاجات التكوين الفيزيولوجى أو كنتيجة للعوامل الاجتماعيه المؤثرة . ولا يهتم عالم النفس الاجتماعى بالنوع الأول من الدوافع ولكنه يوجه عنايته نحو تحليل العوامل الاجتماعية .

يبدأ المؤلفان فى تحليل هذه العوامل الاجتماعية من الساعة الأولى فى حياة الطفل فكل الأفكار الأولى التى تنشأ وتتكون عند الطفل هى عبارة عن مجموعة من الاستجابات لأفعال منعكسة وتتعدل هذه الاستجابات كلما قابل الطفل مؤثرات أخرى تؤدى إلى

تعليم الطفل ونضوجه ويريان أنه يمكن اعتبار هذه الاستجابات الأولى اجتماعية لأنها نتيجة لحياة الفرد فى المجتمع وهكذا يمكن أن نعتبر أن كل ما يتعلمه الطفل هو نتيجة لحياته فى الجماعة فالمجتمع هو الذى يحول الطفل من حالة الحيوانية إلى كائن إنسانى اجتماعى .

ويختلف عالم الاجتماع عن عالم النفس الاجتماعى فى أن عالم الاجتماع يضع سلوك الأفراد كجماعات فى المقدمة وسلوك الأفراد ككائنات إنسانية فى المرتبة التالية بينما عالم النفس الاجتماعى يضع سلوك الأفراد في المقدمة والعمليات الاجتماعية فى المرتبة التالية . فعالم النفس الاجتماعى يضع نصب عينيه دراسة كيف يتصرف هذا الحيوان الإنسانى ككائن إنسانى اجتماعى وهذا يتبع دراسة العمليات التى يتأثر بها الفرد من النظام الاجتماعى . إن المجتمعات تختلف ويختلف تبعا لذلك سلوك الكائنات الإنسانية ولكن مع ذلك فإن العمليات التى تنتقل بها نماذج السلوك الإنسانى من جيل إلى جيل هى عمليات ثابتة وهي العمليات التى يتطور بها سلوك الحيوان الإنسانى إلى أن يصبح سلوك إنسان اجتماعى . ويدرس الكتاب بعناية هذه العمليات وعلى الأخص التقليد واللغة والحركات والتعليم بمناهجه المختلفة في المجتمعات المختلفة كمجتمع الاطفال ومجتمع البدائيين الخ.

ولقد درس المؤلفان دراسة مستفيضة الشخصية الإنسانية ومقوماتها وديناميه التكيف الاجتماعى وكيف يرجع اضطراب الشخصية إلي عدم الاستعداد للتكيف مع المجتمع . وأفردا قسماً لدراسة نماذج التكيف الصحيح بحسب المجتمع حتى لا يؤدى ذلك إلى أمراض فى الشخصية وألحقاه بفصل آخر عن نماذج شاذة من الوجهة السيكولوجية بسبب عدم التكيف الصحيح وقدما فى هذه الناحية نماذج لم يسبق دراستها ونجحا فى دراسة هذه الأمراض السيكولوجية نجاحا كبيراً فى أسلوب سهل ممتع غنى بالأمثلة .

ولقد خصصا القسم الأخير من الكتاب لدراسة التداخل الاجتماعى وخصا بالدراسة ظاهرة الزعامة فدرساها فى أربعة فصول مختلفة تناولاها من نواحيها المختلفة سواء الزعامة المباشرة أو الزعامة التي تنشأ عن بعد بين الزعيم والأتباع كنتيجة للاذاعة أو الدعاية أو الصحف أو غير ذلك من سبل الاتصال .

ليلى يوسف

موجز فى علم النفس الاجتماعى تأليف كيمبول يونج أستاذ علم الاجتماع بجامعة الملكة بنيويورك (٨٧٥ صفحة) سنة ١٩٤٦

K. Young: A Handbook of Social Psychology (Kegan Paul, French, Trubner Co) London 1946

ليس هذا الكتاب المحاولة الأولى للمؤلف في هـذا الميدان بل سبق له أن أصدر كتاباً آخر في سنة ١٩٣٠ بنفس العنوان إلا أنه — كما يقرر — رأى أنه فى خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة قد تقدم علم النفس الاجتماعى تقدماً كبيراً نتيجة لأبحاث علماء كثيرين وعلى الأخص McDougall, Freud, Edward Sapir, Ralph Linton, Ruth Benedict Margaret Mead, Kardiver, H. Sullivan, F. Alexander, K. Horney, A.H. Maslow. etc

وغـير هؤلاء كثيرون مما اضطر مؤلف هـذا الكتاب إلى أن يعيده فى صورة جديدة تتمشى مع أبحاث سنة ١٩٤٦ ومختلفة اختلافاً شاسعاً عن كتابه القديم حتى أنه كتب على الكتاب أنه « الطبعة الأولى » .

ولقد تناول المؤلف أبحاثه من نواح جديدة فعلا ولذلك فهى جديرة بالقراءة . وبعد أن درس فى الأبواب الأولى أصول التداخل وصوره وعوامل هذا التداخل بين الفرد ونمو الشخصية وبين البيئة وبعد أن درس العلاقات الاجتماعية فى صورها المختلفة بين الأفراد وبين الجماعات وبين الفرد والجماعة حاول أن يدرس هذه العلاقات منذ بذورها الأولى عند الحيوانات . ويرى المؤلف أن الحياة الاجتماعية من غير شك « إختراع إنساني » إلا أن بذور السلوك الاجتماعى موجودة عند الحيوانات الاجتماعية السابقة مباشرة للانسان فى سلم الكائنات الحية وعلى الأخص عند القردة والنسانيس فإننا يمكن أن نلاحظ بينها بعض صور العلاقات الاجتماعية كالسلوك التعاونى والصراعى والأسرى . ولقد بين فى أثناء دراسته مدى الفارق فى التعقيد والارتقاء بين هـذه المظاهر من السلوك وبين السلوك الإنسانى نظراً لقدرة الإنسان على التكيف من جهة ولتلك البيئة « الاجتماعية الثقافية » الموجودة خارج الفرد من جهة أخرى . ولقد عقد المؤلف لهذه « الحقيقة الاجتماعية — الثقافية » فصلين طويلين بين فيهما بوضوح أثر التربية والتقاليد الاجتماعية الموروثة والقوانين الاجتماعية العامة فى تكوين شخصية الفرد ومعانيه الذهنية وانفعالاته وأفعاله على وجه العموم . ولكن الفرد ليس ثمرة للمجتمع فحسب بل له أيضاً دوافع وميكانيزمات داخلية تؤثر فى نشأة « الذات الاجتماعية » Social Self ولقد عقد لدراسة هـذه الناحية أيضاً فصلين آخرين .

ولما كان المجتمع الإنساني عبارة عن حلقة من « سلسلة الصراع المستمر » أضاف المؤلف فصلا عن سيكولوجية الثورة وفصلين آخرين عن سيكولوجية الحرب عرض فيها لأبحاث أجريت فى الحرب الأخيرة وقدم أثناءها عدة إحصائيات ورسوم بيانية لمدى تأثر «الرأى العام» وتذبذبه بناء على الأحداث الحربية وتطورها فى السنوات : ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، ١٩٤١ . ومن المواضيع الجديدة التى عرض لها فى هذه الفصول أثر الاختيار والتدريب فى الجنود ودرس الزعامة الحربية كما درس أيضاً تأثير الحرب على الأطفال والمراهقين وأفاض فى دراسة الأمراض العقلية التى تحدث للأطفال فى الحروب .

ولم يفت المؤلف أن يخصص جزءاً من الكتاب لدراسة سيكولوجية الجماعات ومدى تأثيرها « بالوسائل الحديثة للاتصال الاجتماعى » كالراديو والسينما وغير ذلك من الوسائل التى أصبح لها أثر لا يمكن التغاضى عنه فى تكوين الرأى العام عن طريق الدعاية .

وأخيراً يفرد المؤلف فصلا جديداً لدراسة ظاهرة أخرى لها أثر كبير فى العلاقات الدولية وفى العلاقات بين الأفراد والمجتمعات وهى ظاهرة « السلطة » فى مظهريها : الزعامة الديمقراطية والسيطرة الديكتاتورية . ويرى المؤلف أن علماء النفس الاجتماعى يجب أن يبذلوا مجهوداً كبيراً فى دراسة «السلطة» وظواهرها وأثرها فى سلوك الجماعات ما دام مجتمعنا قائماً على الحرية وعلى التقدم الصناعى والعلمى .

من كل هذه الأبحاث التى يتناولها المؤلف يتضح غرض الكتاب وهو دراسة الأفراد فى تفاعلهم كأفراد وتداخلهم كجماعات وما ينتج عن هذا التداخل من تأثير فى الأفكار والوجدانات والانفعالات والعادات الخ الخ فإذا استطعنا أن نعرف هذا كله فإننا نستطيع أن نوجه أنفسنا فى هـذا المجال الخارجى الذى نحيا فيه ونتفاعل معه ونستجيب له بتوجيه دوافعنا الداخلية أو تعديلها أو إعلائها .

ولقد أورد المؤلف فى نهاية الكتاب ثبتا بالمصطلحات العلمية التى استخدمها فى طيات كتابه كما أن المؤلف انتهج خطة مفيدة وهى أن يورد قائمة غنية بمراجع الكتاب وهى مبوبة بحسب نقط كل فصل لمن يريد أن يتوسع فى أى موضوع .

ماهر كامل

الكتب المهداة إلى المجلة

PUBLICATIONS RECEIVED

L'Exploration Expérimentale de la Mentalité Infantile. Par Madeleine Violet-Conil et Nella Canivet. Presses Universitaires de France, Paris, 1946. Pp. 441.

Etudes de Psychologie Instinctive et Affective. Par Auguste Ley et M.-L. Wauthier. P.U.F., Paris; 1946. Pp. 188.

L'Enfance Irrégulière, Psychologie Clinique. Par L. Bourrat, J. Dechaume, R. Gallavardin, P.-F. Girard, C. Kohler, R. Pellet, L. Thévenin, L. Vérel (Bibliothèque de l'école pratique de psychologie et de pédagogie-Lyon). P.U.F., Paris; 1946. Pp. 263.

La Délinquence Juvénile, Cure et Prophylaxie. Par Françoise Liévois. (Bibliothèque de l'école pratique de psychologie et de pédagogie - Lyon). P.U.F., Paris; 1946. Pp. 171.

Critère de l'Action, Traité d'Ethique Psychologique et Mystique de Al-Ghazzali. Version Française et étude analytique par Hikmat Hachem, Docteur ès Lettres. Préface de M. Louis Massignon. Librairie Orientale et Américaine G.-P. Maisonneuve, Editeur, Paris; 1946. Pp. 156.

Cahiers de l'Institut de Psychologie et de Pédagogie. No. 1. P.U.F., Paris. Pp. 128.

Séries de Conférences publiées par les soins du Cercle d'Etudes Pédagogiques de l'Académie de Lyon. 1946

Psychological Abstracts. (Lancaster, Pa.).

Pédagogie. (Centre d'études pédagogiques. Editions SPES; Paris, 1946).

* * *

ديكارت : تأليف الدكتور عثمان أمين — الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة (الناشر : عيسى البابى الحلبي وشركاه بمصر — ١٩٤٦ — ٣١٢ ص)

ابراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية الفلسفية — تأليف الأستاذ محمد عبد الهدى أبو ريدة . (الناشر : لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة — ١٩٤٦ — ١٨٣ ص) .

مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود : ومعه فلسفة محمد بن زكريا الرازى — تأليف الدكتور س . بينيس نقله عن الألمانية الأستاذ محمد عبد الهادى أبو ريدة (الناشر : مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة — ١٩٣٦ — ١٧٢ ص) .

الطاقة الروحية : تأليف هنرى برجسون وتعريب الأستاذ سامى الدروبى . (الناشر : دار الفكر العربى بمصر — ١٩٤٦ — ١٨١ ص) .

وحى العزلة — تأليف السيدة أمينة السعيد (الناشر : دار المعارف للطباعة والنشر بمصر — ١٩٤٦ — ١٨٢ ص)

كانديد أو التفاؤل — تأليف فولتير وتعريب الأستاذ لطفى فام ، ماجستير في الآداب مقدمة بقلم الدكتور يوسف مراد ومسيو فيت . (الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية بمصر — ١٩٤٦ — ١٧١ ص)

تجديد مناهج اعداد المعلمين فى العراق : مع نظرة خاصة إلى الثقافة العربية الإسلامية تأليف الدكتور خالد الهاشمى وتعريب الأستاذ عبد العزيز البسام (الناشر : دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٤٦ — ١٥٢ ص) .

مالك الأشتر : تأليف الأستاذ محمد تقى الحكيم (الناشر : لجنة المجمع الثقافى الدينى لمنتدى النشر — النجف ، العراق — ١٩٤٦ — ١٤٤ ص) .

وابل وطل — نظم ابراهيم يعقوب عوبديا (مطبعة الرشيد — بغداد — ١٩٤٦ — ٨٣ ص) .

مدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية — تقرير عن السنة الدراسية ١٩٤٥ — ١٩٤٦

باب التعريفات

المجموعة الرابعة من مصطلحات علم النفس

إيحاء suggestion — محاولة التأثير فى تفكير الشخص واتجاهاته الوجدانية وسلوكه الحركى بدون استخدام أساليب الإقناع المنطقية أو أساليب الأمر والنهى . وكل إنسان ، إن كثيراً أو قليلا ، قابل للايحاء . وتزداد القابلية للإيحاء suggestibility فى حالات ضعف الذكاء والنقص العقلى عادة وضعف القدرة على التميز والنقد والتكامل ؛ أنظر **مُلفة** ؛ كما تزداد فى حالات النوم الصناعى .

ومن القابلية للايحاء تتفرع ثلاثة فروع تبعاً للمجالات النفسية الثلاثة الحركة والوجدان والفكر ؛ فالمحاكاة imitation هى القابلية للايحاء الحركى ، والمشاركة الوجدانية sympathy القابلية للايحاء الوجدانى والانفعال ، ثم القابلية لسرعة التصديق[1] credulity فى المجال الفكرى[2] .

پرانويا paranoia — أنظر **الذهان الهذائى**

بنائى structural — نسبة إلى الخلايا والأنسجة والأعضاء التى يبنى منها جسم الكائن الحى . أنظر **عضوى**

بوليميا ، سعار ، سحت bulimia; boulimie — جوع مرضى . جاء فى كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٦٣٣ : ورجل مسحوت إذا كان جائعاً لا يشبع ، ومسعور وبه سُعار ، أنظر **مُلفة** anorexia

---

(١) يمكن ترجمة credulity بأمعية . (الأمع والأمعة) : التابع لكل أحد على رأيه .

(٢) يختلف هذا التقسيم عن تقسيم مكدوجل McDougall الذى يرى أن هناك ثلاث نزعات فطرية اجتماعية : المشاركة الوجدانية والمحاكاة والقابلية للايحاء ، دون أن يحاول إرجاعها إلى أصل واحد على الرغم مما بينها من تشابه من حيث عملية انتقال الأثر من شخص إلى شخص . وقد حاولنا فى محاضراتنا فى علم النفس التكاملى إبراز الصلة بين المحاكاة والمشاركة الوجدانية والقابلية لسرعة التصديق وإرجاعها إلى مصدر واحد هو القابلية للايحاء التى هى من قبيل المرونة التى تمتاز بها الحياة عامة . ويلاحظ أن ترتيبنا لهذه النزعات الثلاث مطابق لترتيب ظهورها فى الفرد فى أثناء نموه .

التغير الغذائى فى الحيويا ، ميتابوليزم metabolism ; métabolisme — مجموعة التغيرات الكيميائية التى تحدث فى المواد الغذائية داخل الجسم وفى إفرازات الأعضاء وإفرازات الأنسجة نفسها . وهو يشتمل على عمليتين : عملية بناء anabolism وعملية هدم catabolism

التغير الغذائى القاعدى basal metabolism — الكمية الصغرى من الحرارة التى ينتجها الجسم فى شخص صائم منذ حوالى ١٥ ساعة وملتزم الراحة التامة مدة تتراوح بين ثلث ساعة وساعة. ومتوسط الكمية الصغرى من الحرارة هى ٣٩,٧ سعرة فى الرجل و ٣٦,٩ فى المرأة . والسعرة أو الوحدة الحرارية مقدار الحرارة اللازم لرفع حرارة كيلوجرام ماء درجة واحدة . ويستعان بالتغير الغذائى القاعدى لتشخيص بعض الأمراض وخاصة أمراض الغدة الدرقية . فالتغير الغذائى يزداد مثلاً فى حالة جحوظ العينين الناشئة عن اختلال الوظيفة الدرقية ، اختلالاً يؤدى إلى زيادة إفراز الهرمون الدرقى . أنظر **مرض بازدو** .

جنون insanity ; folie — زوال العقل أو فساده . يستعمل هذا اللفظ فى الطب الشرعى خاصة دون تحديد دقيق لمعناه ، فهو يشمل إما النقص العقلى الولادى أو زوال القوى العقلية بعد وجودها بحيث يكون الشخص فى الحالتين غير مسئول عن أعماله . وتسمى حالات النقص العقلى الولادى (منذ الولادة) amentia وحالات فساد القوى العقلية بعد وجودها dementia . أنظر **زهاير**

خلفة negativism ; négativisme — قيام المريض بعكس ما يطلب إليه أو ما ينتظر منه أن يقوم به من استجابات للمنبهات الخارجية . وتعرف الخلفة أيضاً بالقابلية للإيحاء المضاد contrasuggestibility . تكون الخلفة إيجابية عند ما يقوم المريض بعكس المطلوب كأن يقفل يده عند ما يطلب منه بسطها ، أو يقاوم الحركة المفروضة عليه . والخلفة الإيجابية كثيراً ما تشاهد فى حالات الفصام الكتاتونى (أنظر **فصام**) . وتكون الخلفة سلبية عند ما يقوم المريض بالاستجابة التى يقتضيها الموقف فلا يلبى نداء حاجاته العضوية كرفض الطعام مثلا (أنظر **خلفة**) .

وذكر بعضهم الخلفة العقلية وهى حالة الشخص الذى يعقب على فكرة تخطر له بفكرة مضادة لها : « أنا رجل ، لا أنا لست رجلا » ، أنا برىء ، لا أنا لست بريئاً » .

خلفة anorexia;-e ذهاب شهوة الطعام من المرض (القاموس) .

زهاير — مرض عقلى psychosis; psychose — اختلال بليغ فى القوى العقلية يؤدى إلى اختلال جميع وسائل التكيف والتوافق العقلى والاجتماعى والمهنى والدينى إلخ ... وإلى اضطراب كلى فى الشخصية مع فقد القدرة على الاستبصار insight . وتطلق كلمة ذهان على الحالات النفسية المنشأ psychogenic (أنظر **فصام** ، **الذهان الهذائى** ، **الذهان الدورى**) . أما المرض العقلى الناشىء عن إصابات عضوية فيستحسن تسميته بالذهان العضوى organic psychosis (أنظر **الشلل الجنونى العام**) .

الذهان الدورى أو ذهان الهوس والاكتئاب circular psychosis, manic depressive psychosis; psychose périodique ou maniaque dépressive ذهان يتميز بتناوب حالات الهوس والاكتئاب . (أنظر **ملانخوليا** ، **مانيا**) .

الذهان الهذائى — پرانويا paranoia — ذهان مزمن من أعراضه الرئيسية **الهذاء** الثابت المنظم ، وقد يبدو المريض سليما من حيث القدرة على الاستدلال والمحاجاة غير أنه يبنى استدلاله على اعتقادات فاسدة وهمية ومقدمات باطلة . وقد قصر بعضهم هذا الذهان على نوعين من الهذاء : هذاء التأويل وهذاء المطالبة .

الرسم الكهربائى للمخ electro-encephalogram — تسجيل النشاط الكهربائي الطبيعي للخلايا العصبية فى المخ فى صورة ذبذبات تختلف أشكالها باختلاف سن الشخص ونشاطه الحسى والحركى والذهنى ، كما قد تختلف اختلافاً نوعياً فى بعض الأمراض العصبية (عضوية أو وظيفية) وبعض الأمراض العقلية . وقد بدئ باستخدام هذا الرسم فى تشخيص بعض الأمراض كالصرع وأورام المخ .

الشلل الجنونى العام general paralysis of the insane, general paresis, dementia paralytica; paralysie générale progressive, démence paralytique — التهاب الدماغ نتيجة إصابة بالزهرى يؤدى بعد فترة تتراوح بين خمس سنوات وعشرين سنة إلى ضعف تدريجى فى القوى العقلية ينتهى بالجنون . ومن أعراضه النفسية الشعور الشاذ بالفرح والارتياح وهذيان العظمة والتقلبات الانفعالية .

الطب العقلى psychiatry;-ie — فرع من الطب يتناول دراسة جميع الاضطرابات العقلية والنفسية وعلاجها وتوضيح وسائل الوقاية والصحة العقلية . وهو يستند من جهة إلى **علم النفس المرضى** ومن جهة أخرى إلى الطب العام .

عصاب ، مرضه نفسى ، مرضه عصبى وظيفى neurosis, psychoneurosis, functional nervous disease; névrose, psychonévrose, maladie nerveuse fonctionnelle مرض نفسى أو مجموعة أعراض نفسية تصحبها أحياناً مظاهر جسمية شاذة ناشئة عن عوامل نفسية كالانفعالات المكبوتة والصدمات والصراع بين الدوافع المتناقضة إلخ ... والمظاهر الجسمية الشاذة (كالأعراض الجسمية فى **الهستيريا**) تعود تؤثر بدورها فى الحالة النفسية . فالأعراض الجسمية غير ناتجة عن إصابة عضوية ، ولهذا السبب تعرف بالأعراض **الوظيفية** ، غير أنه قد تكون هناك عوامل فيزيائية (اضطرابات المجالات الكهربائية في الخلايا والأنسجة) وعوامل كيميائية تفيد معرفتها فى تفسير الاختلال الوظيفى العام الذى يصيب الجهاز العصبى . وتعرف الأمراض النفسية أو العصابية بالأمراض العصبيه الوظيفية ، غير أنه يستحسن عدم استعمال هذه التسمية الأخيرة نظراً لصعوبة تحديد الفرق بين ما هو **عضوى** وما هو **وظيفى** تحديداً واضحاً ، كما أنه يكون من الخطأ تسمية المرض

النفسى بالمرض العصبي إذ أن المرض العصبي عضوى المنشأ دائماً وعلاجه من اختصاص طبيب الأمراض العصبية neurologist فى حين أن علاج الأمراض النفسية من اختصاص طبيب الأمراض العقليـــة psychiatrist أو المحلل النفسى psycho-analyst ومنعاً للبس اقترحنا منذ سنة ١٩٤٣ فى كتاب « شفاء النفس » ترجمة neurosis أو psychoneurosis **بعصاب** (١)

ومن أهم الأعراض العصابية النفسية المخاوف المرضية والحصر النفسى (قلق مرضى) والأفكار الثابتة والشك المرضى والحصار (أفكار متسلطة واندفاعات قهرية) أنظر **هستيريا** . ويكون العصابى شاعراً بشذوذ حالته محتفظاً بقدرته على الاستبصار بخلاف الذهانى أى المصاب بمرض عقلى .

أنظر **ذهانه** psychosis

ولا يوجد فرق جوهرى بين neurosis و psychoneurosis غير أن المقصود من اللفظ الثانى تأكيد المنشأ النفسي للأمراض النفسية .

وقد فرقت مدرسة التحليل النفسى بين عصاب نفسىّ المنشأ وعصاب جسمىّ المنشأ أو عضوىّ المنشأ وأطلقت على الثانى لفظ actual neurosis أى مسبب عن عوامل جسمية راهنة ، لا عن كبت الانفعالات في الطفولة . وهـــذه العوامل الجسمية الراهنة هى فى العادة الإفراط الجنسى وخاصة الاستمناء . وتعتبر مدرسة التحليل النفسى النورستانيا وعصاب القلق والهجاس (اعتقاد الشخص خطأ أنه مريض) من العصابات العضوية . ولـكن يجب أن يلاحظ أن التمييز بين العصاب النفسى المنشأ والعصاب العضوى المنشأ لا يزال موضع نقاش بين العلماء .

عضوى organic;-que — خاص بتركيب العضو أو بما يفرزه من مواد كيميائية . والمرض العضوى هو الناشئ عن إصابة العضو إصابة تشريحية أو بنائية كالتهاب أغشية الدماغ مثلا .

العلاج الفيزيائى physiotherapy; physiothérapie — وسيلة علاجية قائمة على استخدام العوامل الطبيعيـــة كالهواء والماء والحرارة والضوء والـكهرباء والراحة والحركة والرياضة البدنية وتغيير المناخ .

العلاج النفسى psychotherapy;-thérapie — علاج الأمراض سواء كانت نفسية أو جسمية بوسائل نفسية كالإيحاء فى أثناء اليقظة أو النوم الصناعى ، وتقوية الإرادة والروح المعنوية والإقناع ، والتحليل النفسى .

علم النفس المرضى psychopathology; ie — دراسة العوامل والوظائف والعمليات العقلية فى حالات المرض وتفسير جميع الاضطرابات النفسية تفسيراً سيكولوجياً . و **الطب العقلى** تطبيق لعلم النفس المرضى في مجالى الوقاية والعلاج .

---

(١) أخذ هذا اللفظ يشيع فى الأوساط العلمية مما يدل على فائدته « العملية » فضلا عن كونه يزيل اللبس بين المرض العصبي والمرض النفسى. فقد استخدمه الأستاذ محمد فؤاد جلال ، الأستاذ المساعد بمعهد التربية للمعلمين ، فى كتابه الأخير : مبادئ التحليل النفسى وتطبيقاته (١٩٤٦) كما استخدم غيره من الألفاظ الجديدة الواردة فى بحوث أعضاء جماعة علم النفس التـكاملى مثل فصام وذهان وحصار . وهذه خطوة طيبة نحو توحيد ألفاظ علم النفس باللغة العربية ، جديرة بالثناء كله .

فصام ، (الجنون المبكر ، جنون المراهقة) schizophrenia; schizophrénie; *dementia praecox*. ذهان من أهم أعراضه انطواء المريض على نفسه والنكوص والتجول الذهني في عالم الخيال والوهم ؛ عدم الاتساق بين المزاج والفكر ، البلادة الوجدانية وفساد الحياة الانفعالية ؛ اعتقادات باطلة وهلوسة وأفكار الاضطهاد والعظمة والخلود والقدرة الخارقة وتقمص الكون ؛ انحرافات جنسية ، شبقية ذاتية ، جنسية مثلية ؛ تفكك عام في الوظائف العقلية .

وأول من استعمل لفظ الجنون المبكر démence précoce الطبيب الفرنسي Morel سنة ١٨٥٧ ؛ ثم رأى العالم السويسري بلولر Bleuler (١٩٣٩ — ١٨٥٧) استبدال schizophrenia (العقل المفصوم) « فصام » بالجنون المبكر ، إذ لاحظ أن هذه الحالة المرضية لا تنتهي دائماً بزوال العقل تماماً dementia وأنها لا تظهر دائماً في سن المراهقة .

وللفصام أربعة أشكال إكلينيكية : ١ — الفصام البسيط simplex وعرضه الرئيسي الفرار من الواقع . ٢ — فصام المراهقة hebephrenic وأعراضه الرئيسية تقمص الكون وأفكار العظمة . ٣ — الفصام الهذائي paranoid وعرضه الرئيسي هذيان الاضطهاد ٤ — الفصام الكتاتوني catatonic وأعراضه الرئيسية الجمود stupor والصمت والمقاومة السلبية أو الإيجابية (أنظر مُخلفة) والقابلية الزائدة للايحاء في محاكاة الأصوات echolalia والحركات echopraxia والتزام أوضاع الجسم الثابتة مدة طويلة بدون الإحساس بالتعب ؛ وعند ما تحل مظاهر النشاط محل الجمود والصمت يقوم المريض بحركات نمطية stereotypy فعلاً وقولاً وكتابة .

مانيا [1] ، هوس mania; manie — ذهان من أهم أعراضه تضخم الأفكار وتهيجها وانتقالها السريع من موضوع إلى آخر دون التمييز بين قيم المعاني ؛ سرعة تداعي المعاني مع الميل إلى النكتة اللاذعة والتفوه بالألفاظ البذيئة ؛ أفكار العظمة والاستعلاء ، الإحساس المفرط بالانبساط والمرح وازدياد النشاط الحركي والاندفاع إلى تحقيق كل فكرة تخطر فينتقل المريض من عمل إلى عمل دون راحة ولا هوادة ويكون تفكك نشاطه الحركي العنيف موازياً لتفكك نشاطه الذهني الهائج . والهوس أحد جانبي **الذهان الدوري** المعروف بذهان الهوس والاكتئاب circular or manic depressive psychosis . وتعرف حالة المانيا الخفيفة بالهيبومانيا hypomania .

ملانخوليا ، المرض السوداوي melancholia; mélancolie — ذهان من أهم أعراضه الاكتئاب وهبوط النشاط الحركي وانعدام الاهتمام بالعالم الخارجي والأرق ورفض الغذاء وطلب الانتحار . يعتبر أحد جانبي **الذهان الدوري** المعروف بذهان الهوس والاكتئاب circular or manic depressive psychosis

مرض بازداو Basedow's disease; maladie de Basedow — يتميز بتضخم الغدة الدرقية وازدياد إفرازها وجحوظ العينين وخفقان القلب ورجفات سريعة وقصيرة في اليدين .

---

(١) استعمل أطباء العرب مثل أبوبكر الرازي في «الحاوي» و «الطب المنصوري» ، وابن سينا في « القانون » اللفظ اليوناني مانيا ، كما استعملوا ملنخوليا وليثارخوس (سبات) وفرينيطس (مرض شبيه بالمانيا) والقطرب (ليقانتروبيا أي اعتقاد المريض بأنه تحول إلى ذئب) .

وتصحب الحالة الجسمية اضطرابات نفسية كتقلب المزاج وتهيجه السريع والاكتئاب ويعرف هذا المرض أيضاً بمرض جريف Grave

ميتومانيا ، جنون الكذب ، تسطير (هوس : mania — أسطورة ، كذب : mythos) — mythomania; -manie — ميل مرضى إلى المبالغة فى الحديث والكذب فيه والافتراء على الآخرين

نظرية الظواهر المضافة ، إبيفينومناليزم — epiphenomenalism; épiphénoménisme إحدى النظريات المفسرة لصلة النفس بالجسم وهى تعتبر الظواهر الشعورية آثاراً ثانوية لنشاط الجهاز العصبي وهى عديمة الفاعلية لا تؤثر فى عمليات الجهاز العصبي ولا فى العمليات الذهنية نفسها ، تؤدى هذه النظرية إلى إنكار علم النفس وإلى رد تعليل الظواهر الموسومة بالنفسية إلى التعليل الفسيولوجى. يميز بينها وبين **نظرية التوازى النفسى الجسمى** parallelism

نظرية التوازى النفسى الجسمى parallelism; parallélisme — إحدى النظريات المفسرة لصلة النفس بالجسم وهى تعتبر أن للظواهر النفسية وجوداً مستقلا عن الظواهر الجسمية ، غير أن لكل نشاط نفسى ما يوازيه من نشاط جسمى فى الجهاز العصبي دون أن تكون هناك صلة عليّة بين النشاطين . أنظر **نظرية الفاعلية المتبادلة** interactionism

نظرية الفاعلية المتبادلة interactionism; interactionisme — إحدى النظريات المفسرة لصلة النفس بالجسم وهى تقول بالتأثير المتبادل بين النفس والجسم المتحدين في التركيب الإنسانى .

هتر de lirium; délire toxique — مجموعة أعراض أهمها فقدان القدرة على التوجه فى الزمان والمكان ؛ الهلوسة ؛ اضطراب انفعالى مصبوغ بصبغة الخوف والرعب . وينشأ الهتر عادة عن تسمم (المسكرات ، توكسينات ميكروبية) كما فى هتر السكير أو المريض بالتيفود .

هذاء delusion; délire — اعتقاد خاطئ غير مطابق للواقع ، ولا يمكن إقناع الشخص الهاذى بفساد اعتقاده ، ويمتاز أيضاً بعدم اتساقه مع تربية الشخص ، وثقافته وبيئته . والنزعة إلى الارتياب والتشكيك والمجادلة مما يساعد على ظهور الحالات الهذائية . وتكوّن الهذاءات نظاماً ثابتاً متماسكا فى البرانويا خاصة ، أنظر **الذهان الهذائى**

ويذكر الطب العقلى أنواعاً كثيرة من الهذاء مثل هذاء العظمة والاضطهاد والمرض والموت والغيرة والفقر والخطيئة والهذاء الجنسي .

يجب أن يلاحظ أن اللفظ الفرنسى délire يستعمل أيضاً بمعنى delirium . أنظر **هتر**

هستيريا hysteria; hystérie — عصاب من سماته البارزة القابلية الشديدة للايحاء والتقلب الانفعالى وضعف الشحنة الوجدانية وتفكك محتوى الشعور . وينشأ عن صراع بين الذات الشاعرة والرغبات اللاشعورية المكبوتة . ويؤدى هذا الكبت إلى ظهور أعراض تعويضية ترضى الرغبات اللاشعورية بطريقة رمزية . ويعتبر العرض الهستيرى على الرغم من شذوذه ضرباً من ضروب التكيف الناقص .

وعند ما توجـد أعراض جسمية يسمى المرض بالهستيريا التحولية conversion hysteria وقد يبدو المريض فى حالة من الفرح وعدم الاكتراث . أما إذا كانت الأعراض مقصورة على المخاوف الشاذة والقلق فيسمى المرض بالهستيريا الحصرية anxiety hysteria .

والأعراض الهستيرية عديدة ومتنوعة إذ يكاد كل عضو من أعضاء الجسم وكل جهاز من أجهزته يصاب بضرب ما من الاختلال الوظيفى .

وقد تكون الأعراض حسية كفقدان الحساسية اللمسية anesthesia أو ازديادها hyperesthesia أو نقصانها hypoesthesia أو انحرافها paresthesia ، والعمى والصمم وفقـدان حاسة الشم anosmia وحاسة الذوق ageusia . ويجب أن يلاحظ هنا أن هذه الاضطرابات كلها من طبيعة وظيفية أى بدون أن يكون هناك إصابة عضوية فى العضو الحسى أو فى العصب الحسى أو فى المركز العصبى الحسى . أنظر **وظيفى**

وقد تكون الأعراض حركية كالشلل الوظيفى functional paralysis (أى بدون وجود إصابة فى المراكز العصبية الحركية فى النخاع أو فى المخ) ، والحركات التشنجية وفقدان القدرة على إصدار الأصوات aphonia وتقلص العضلات المؤدى إلى تشوهات ، وظهور أوضاع حركية شاذة ثابتة إلخ.

وقد تكون الأعراض خاصـة بالدورة الدموية والجهاز التنفسى والجلد والأحشاء ، مثل برودة الأطراف أو سخونتها أو احتقان الدم فيها cyanosis وخفقان القلب tachycardia والربو وارتشاح الجلد بالعرق الغزير أو الدم وبعض الأمراض الجلدية إلخ ...

أما الأعراض النفسية فأهمها فقدان الذاكرة amnesia والتجوال النومى somnambulism والتجوال اللاشعورى fugue والقلق ، والهلوسه أحياناً .

وقد عنيت مدرسة التحليل النفسى بدراسة الهستيريا عناية خاصة ؛ والمرضى بالهستيريا يجدى معهم العلاج السيكوتحليلى إلى حد بعيد .

وظيفة function; fonction — ما يقوم به العضو أو الجهاز العضوى من عمل . وكان يقال قديماً منفعـة العضو فعلم وظائف الأعضاء physiology كان يسمى قديماً علم منافع الأجزاء (الترجمات العربية لـكتاب جالينوس) .

وظيفى functional; fonctionnel — خاص بما يؤديه العضو أو الجهاز العضوى من عمل لا ببنائه وتركيبه . والمرض الوظيفى هو اختلال الوظيفة دون ظهور إصابة تشريحية أو نسيجية فى العضو كالشلل وفقدان الحس فى الهستيريا .

يذهب بعضهم إلى أن تسمية بعض الأمراض بالوظيفية اعتراف بجهلنا أسباب المرض العضوية التى قد تكون طبيعتها دقيقة جداً لم يصل العلم بعد إلى تحديدها . وقد يكون هذا صحيحاً فى بعض الحالات فالصرع مثلاً epilepsy والزفن chorea أو مرض الرقص السنجى كانا يعتبران من الأمراض النفسية أو الأمراض العصبية الوظيفية ، ثم أدخلا فى نطاق الأمراض العصبية بعد كشف عللها العضوية. ولذلك يعتقد عضويو النزعة أن جميع أنواع العصاب والذهان ستدخل يوماً ، إن قريباً أو بعيداً ، فى نطاق الأمراض العصـبية . أما الوظيفيو النزعة وعلماء النفس فيرون أن هناك بكل تأكيد مجموعات من الأمراض بل أمراضاً تكون فيها النـاحية النفسية جوهرية ومتغلبة ، يرجع منشؤها إلى خبرات الشخص الانفعالية من كبت وغيره وإلى تأثير البيئة . وتكون آثارها ظاهرة واضحة فى سلوك الشخص نحو نفسه ونحو الآخرين وفى استجاباته الاجتماعية الشاذة .

والواقع أن الغمـــوض والاضطراب فى محاولات بعض العلماء التفرقة بين المرض العضوى الخالص والمرض الوظيفى الخالص يرجعان إما إلى الاعتقاد بأن الجسم هو الحقيقة الواحدة دون النفس أو إلى أن الجسم والنفس حقيقتان ، لا متميزتان فحسب ، بل منفصلتان تمام الانفصـــال كما فى **نظرية التوازى النفسى الجسمى** . أما إذا أخذنا بالمذهب التكاملى ونظرنا إلى المركب الإنسانى كوحدة متكاملة نفسا وجسماً لرأينا أن المرض — أيا كان — لا يصيب الجسم فحسب أو النفس فحسب بل الإنسان . ولذلك لا بد من أن يوجد بجانب الطب البشرى (الذى يجب عليه ألا يهمل الناحية النفسية) طب نفسى يستخدم أساليب نفسية للعلاج — كما يستخدم مدلولات سيكولوجية لتفسير الأمراض العصابيـــة والذهانية ، فضلاً عن استخدام وسائل العلاج الفيزيائية والـكيميائية كالصدمات الـكهربائية مثلاً وبعض العقاقير كلما اقتضته الحالة .

ويبدو من الاتجاهات الحديثة جداً فى الطب أن تقدم العلاج الطبى لا يمكن أن يطرد — خاصة فى الحالة الاجتماعية الراهنة — إلا باتجاهه نحو العلاج السيكوسوماتى أو العلاج النفسى الجسمى معاً. ومما هو جدير بالملاحظة ازدياد عـــدد الأمراض التى أخذت تدخل فى نطاق الطب السيكوسوماتى psychosomatic medicine ، نذكر منها قرحة المعـــدة ، الربو ، ارتفاع الضغط الأساسى ، الجلوكوما — راجع مقالات الدكتور مصطفى زيور فى مجلة علم النفس العدد الأول والعدد الثانى من السنة الأولى .

يوسف مراد
سكرتير عام جماعة علم النفس التكاملى (*)

(*) اشترك فى مراجعة المجموعة الرابعة من التعريفات الدكتور صبرى جرجس .